

أدب وثقافة

مجلة الثقافة الوطنية الديمقراطية

ألا نحفظون قليلاً من الشعر كي نوقفوا المذبحة؟

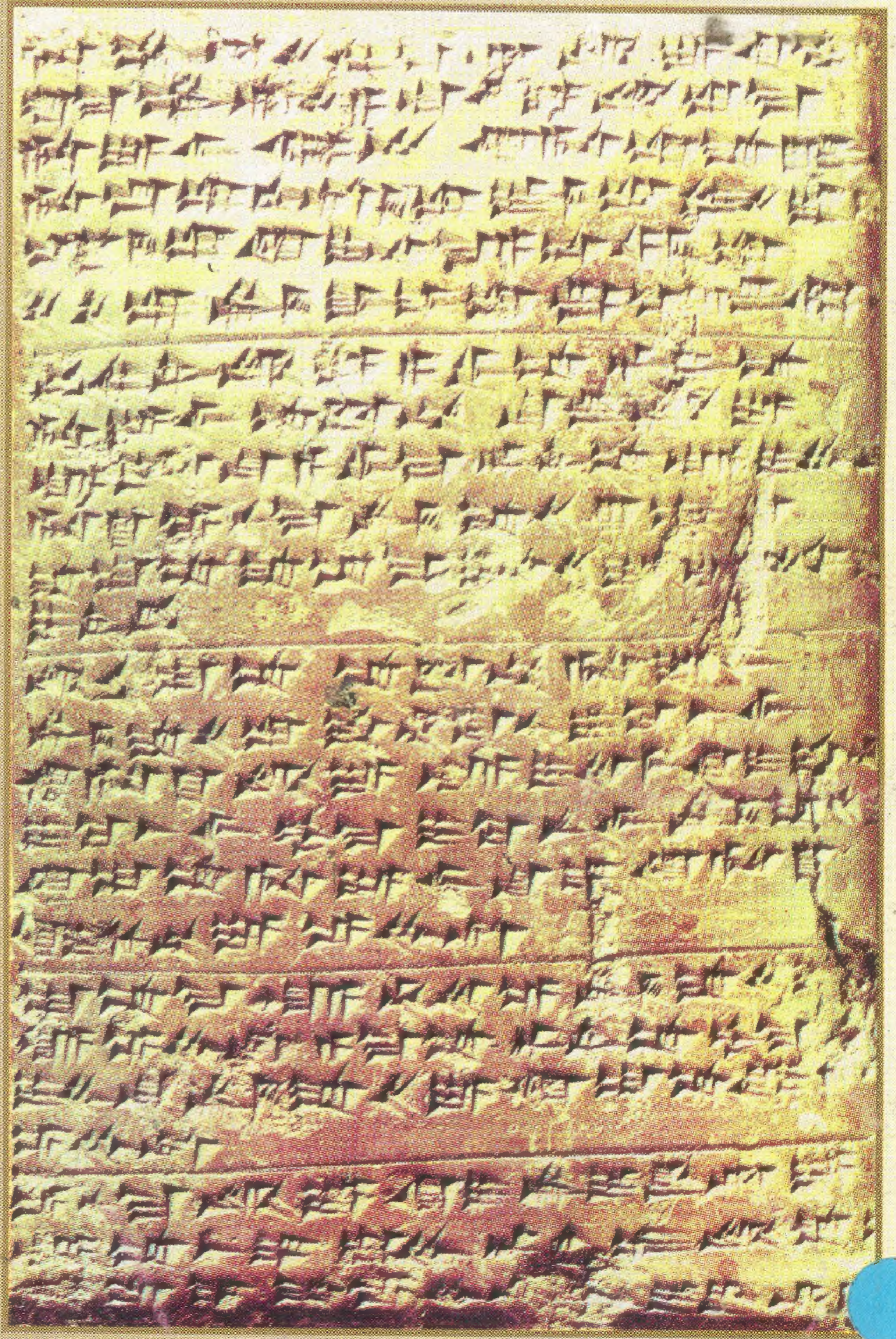
ملف: أدباء في مهب العراق

عبدالله الطوخي:
دراما الحب والثورة

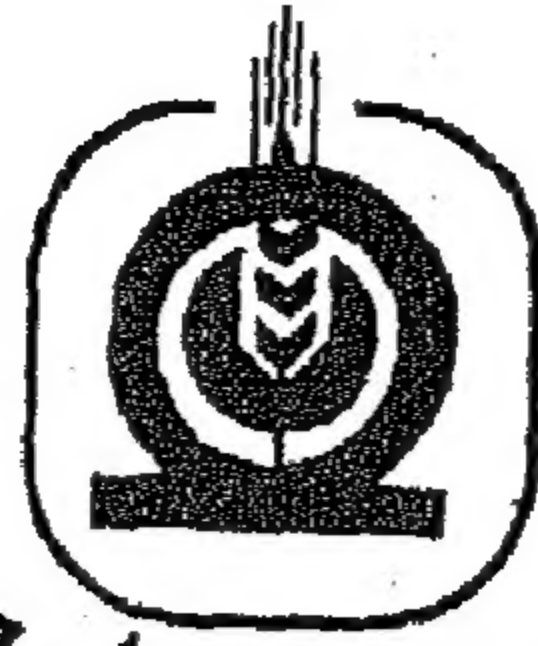
توفيق الحكيم
بين الشباب
والشيخوخة

انتفاضة: الولد الذي
قطف الشـمس

فنانون وشهداء:
الرسـم
بريشة القلب

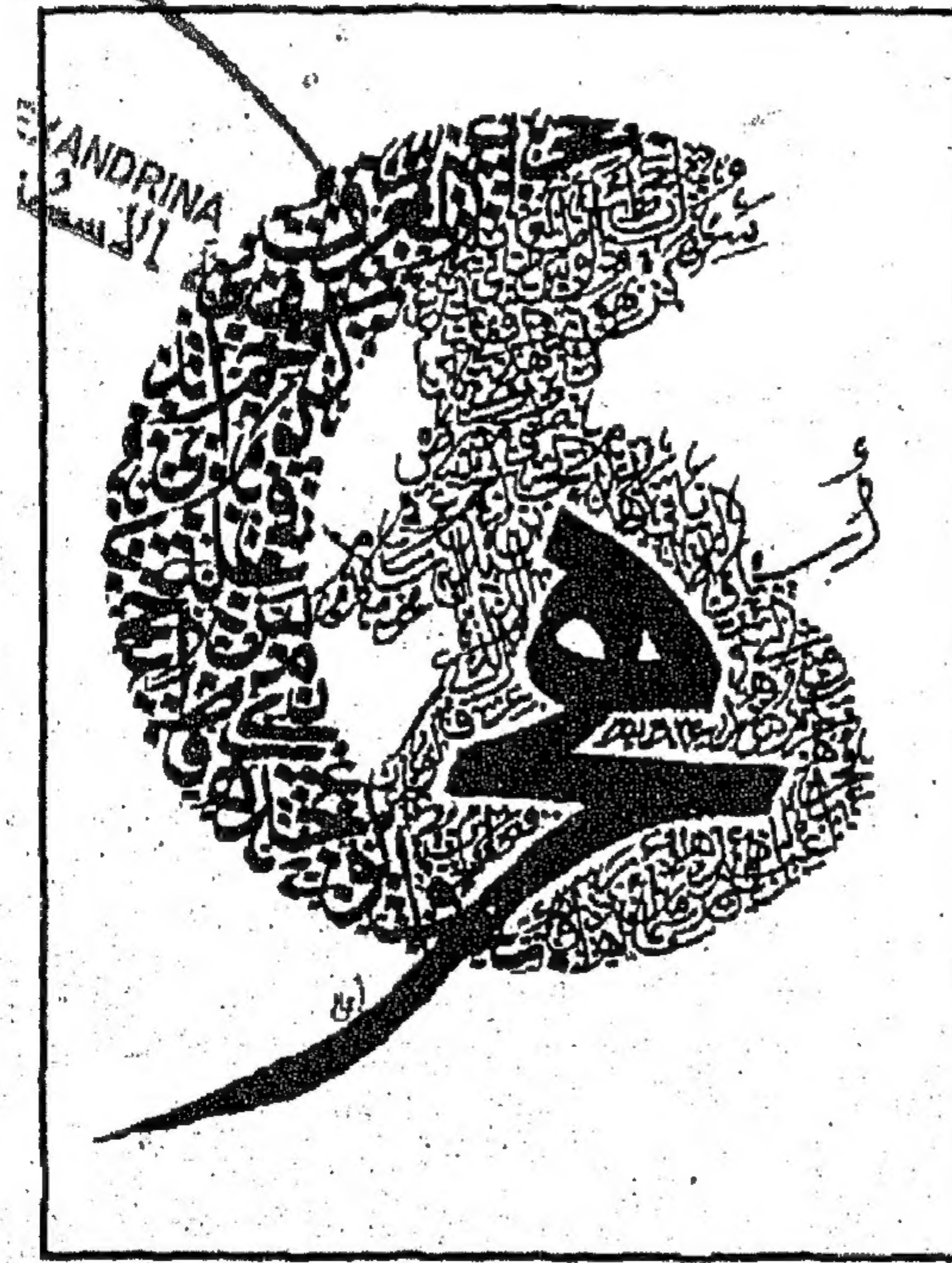


الأهلام والسكاكين في قصص عيسى القيرى



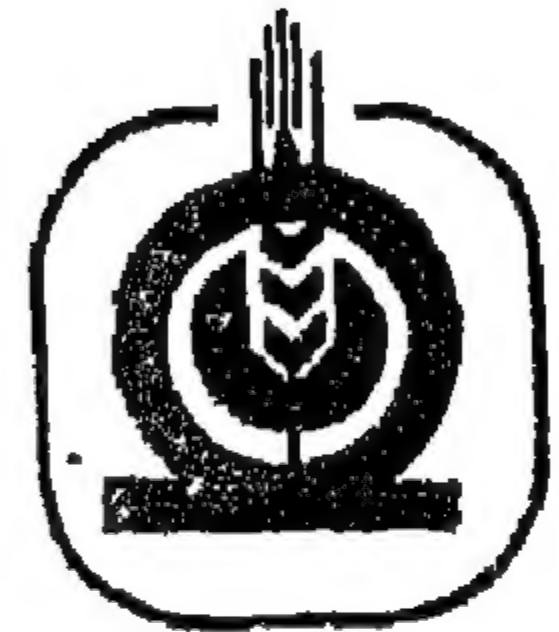
أدب وفن

مجلة الثقافة الوطنية الديمقراطية
شهرية يصدرها حزب التجمع الوطني التقدمي الوحدوي
تأسست عام ١٩٨٤ - السنة السابعة عشر
العدد ١٩٠ - يونيو ٢٠٠١



رئيس مجلس الإدارة : د. رفعت السعيد
رئيس التحرير : فريدة النقاش
مدير التحرير : حلمي سالم
سكرتير التحرير : مصطفى عباده

مجلس التحرير : إبراهيم أصلان / د. صلاح
السروي / طلعت الشايب / غادة نبيل / كمال
رمزي / مجاهد يوسف

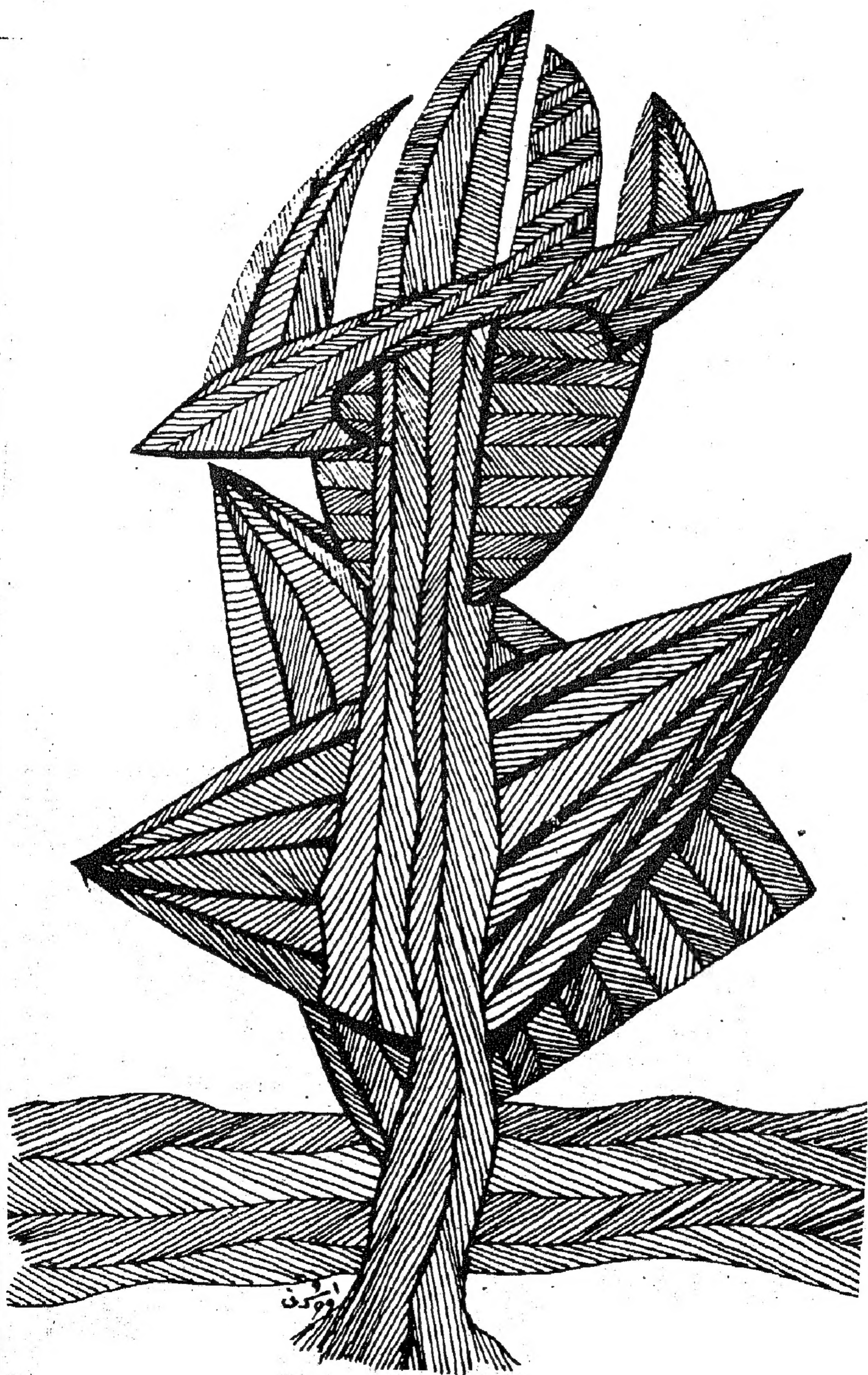


المستشارون : د. الطاهر مكي / د. أمينة رشيد /
صلاح عيسى / د. عبد العظيم أنيس
شارك في هيئة المستشارين ومجلس التحرير الراحلون : د. لطيفة الزيات /
د. عبد المحسن طه بدر / محمد روميث / ملك عبد العزيز.
لوحة الغلاف : لوحة من الفخار - نقش عليه نص رسالة مرسلة من أحد حكام
بابل إلى الملك إخناتون، مكتوبة بالخط المسماري .
الرسوم الداخلية للفنان : شريف إبراهيم
الإخراج الفني للغلاف : أحمد السجيني

(طبع شركة الأمل للطباعة والنشر) .
أعمال الصف والتوضيب الفني : تسرين سعيد إبراهيم
المراسلات : مجلة أدب ونقد ١ شارع كريم الدولة / ميدان طلعت حرب . الأهالي
القاهرة - ت : ٢٩ / ٢٨ / ٥٧٩١٦٢٧ فاكس : ٥٧٨٤٨٦٧
الاشتراكات لمدة عام : داخل مصر ٤ جنيها / البلاد العربية ٣ دولاراً - أوروبا
 وأمريكا - ٦ دولاراً باسم الأهالي - مجلة أدب ونقد . الأعمال الواردة
إلى المجلة لا ترد لأصحابها سواء نشرت أو لم تنشر .

المحتويات

- أول الكلام / المحررة / ٥
- ثلاث قصائد / خلود محمود / ٩
- * ملف : مبدعون في مهب العراق / إعداد وتقديم:
سعد القرش / ١٣
- محمد علي طه وأطفال فلسطين: يلونون سماء القدس / فريدة
النقاش / ٥٠
- وعى الحكيم من الشباب إلى الشيخوخة / دراسة / د. حسنى محمود / ٦٦
- عبدالله الطوخي : دراما الحب والثورة / ف.ن. / ٩٠
- * الديوان الصغير: أحلام المصري وسكاكينه / مختارات من قصص
محمد عيسى القيرى / إعداد وتقديم: حلمى سالم / ٩٧
- جرّ شكل / طالبان مصر / ح.س. / ١٧
- صورة الفنان / ماجد يوسف / ١٢١
- كتاب / شهداء يرسمون شهداء / محمد سيد سلطان / ١٢٥
- متوازيان / قصة / إيهاب الحضري / ١٣٠
- بهجة الألوان / شعر / محمود الزيات / ١٣٣
- الشكوى لله / شعر / مدحت منير / ١٣٦
- نافذة المبدعين / ١٣٧



أول الكتابة

نعم .. إنه الألم..

فما يفرح في زماننا هذا شحيح، وحتى أفراحنا الصغيرة غالباً ماتلحقها غصة معجونة بطعم المرارة والأسى العاجز عن أن يتحول فعلاً وغضباً.. إن أحداً منا مهما كان قادراً على انتزاع نفسه من هذا العالم الذي لا قلب له لا يستطيع أن يغمض عينيه أمام مشهد الجنازات اليومية في فلسطين، أو يصم أذنيه عن أزيز الفانتوم وهي تقتلع أشجار الزيتون وجدران المخيمات، أو يتظاهر بأنه لم يسمع بأعداد الشهداء والجرحى وهي تتزايد كل يوم، أو يغمض الطرف في آخر النهار عن العجز العربي عن تقديم مساندة فعالة للانتفاضة تلجم التوحش الصهيوني وتجبر أمريكا على إعادة حساباتها دون إستخفاف بالعرب... بمصالحهم وكرامتهم. ومع ذلك.. ورغم ذلك.. يؤسفنا أن ننتزع فرحة صغيرة صافية من النمو البطيء لأشكال التضامن الشعبي مع الانتفاضة حتى ولو كانت أعمالاً متواضعة لأنها تحفر - ولو ببطء - مجرى جديداً في حياتنا عنوانه المقاومة..

نعم إنها مقاومة الظلم والعسف.. مقاومة تقول لا للإستغلال والارهاب.. ونظلم نجتهد لنتوصل للوشائج العميقة المخفية بينها وبين المقاومة العفوية لحزمة السياسات الإنفتاحية وعبادة السوق والليبرالية الجديدة والخصخصة وانسحاب الدولة من ميدان الخدمات الاجتماعية وتفرغها لخدمة المستثمرين وكبار رجال الأعمال، وهي جميعاً الوجه الآخر للسياسات التي جعلت نجدة الفلسطينيين مستحيلة والغضب الرسمي من أمريكا حذراً بل قل مناشدة ذليلة.. نعم إنها الوجه الآخر للسياسات التي ألقت بنصف سكان بلادنا إلى ما تحت البطالة واليأس متطلعين جلهم إلى هجرة تنخلق أبوابها شيئاً فشيئاً.. فيهاجر بعضهم إلى داخل نفسه والبعض الآخر إلى جماعات التطرف الديني.. و.. نعم هناك وشائج.. وهناك أيضاً أمل.. أمل علينا أن نبتدعه من المقاومة نمسك به ونحن نستكشف طريقنا الجديد على ضوءه الشاحب..

هناك أمل

وسوف نهديكم في عددنا هذا أملاً وفرحة صغيرة ووعداً، إذ نقدم ثلاث قصائد مدهشة لطفلة من الاسماعيلية في العاشرة من عمرها هي «خلود محمود» تصدر بها العدد مفتتحاً للوعد وعونا على مافيه من شحنة ألم.

المبدعون الذين قدمهم لنا الزميل الروائي «سعد القرش» من العراق لم يتمكنوا من الهجرة وظلوا يعيشون في بلادهم تحت الحصار، يكتبون مايفيض بالمرارة وصور الموت الذي أفرط في الوجود ..

في إبداعهم هو البديل الأفضل لإدمان الصمت».. فنحن بإزاء شعب محب للحياة رغم كل شيء تلك التي تعد أعظم قصائده غير المكتوبة كما يقول سعد. وهذا أول الموج/ وقد «أثقلته المراكب بالموتى» كما تقول الشاعرة صفاء دياب، أو يقول حاتم حسام الدين:

أحدث حبيبي

عن زغرودة أمي الطافحة بالنواح

هذا الملف هو صرخة إستغاثة، وهو أيضاً وثيقة إدانة للنظام العربي الذي قبل حتى الآن بالحصار على العراق ولم يتعدل موقفه إلا قليلا حين بادرت أطراف دولية مثل روسيا وفرنسا بفتح الثغرات والمطالبة بإعادة النظر الشاملة في العقوبات الدولية ضد العراق..

هذه إذن شحنة ألم وغضب تخاصم معظم نصوصها روح الخطابة وتصل إلى فنية عالية منسوجة من تفاصيل الموت المفرط وأشواق الحياة معا، تغسلها الدموع وتلفها كبرياء جريحة كأنها تستلهم شاعر العراق الكبير «محمد مهدي الجواهري» الذي يهدي له شاعر منفي آخر هو محمد سعيد الصنكار قصيدته (ومن العراق إلى فلسطين.. ننشر قصة - نبوءة لواحد من أهم المبدعين الفلسطينيين هو «محمد علي طه» فالولد الذي قطف الشمس مكتوبة قبل ما يزيد على عشر سنوات ولكنها راهنة وناطقة شأن قضية الشعب وتضحياته السخية من أجل الاستقلال..

يأبى. «محمد علي طه» الحكاء الساخر المفعم بالروح الشعرية أن يرى في الوطن الجريح كلا مثاليا صافيا متجانسا وجميلا وجديراً بالعطف وحده بما أنه ضحية وذلك اتساقا مع الروح النقدي في كل عمله كما استخلصته المحررة في مقالها عن المجموعة التي ننشر قصة منها تحية لانتفاضة الشعب الفلسطيني الذي سوف تبقى أشكال مقاومته إبداعا حيا في كل المجاولات ونبوءة بمستقبل عربي آخر يخرج من قبضة الهيمنة الأمريكية.

ونقدم لكم في الديوان الصغير حكاء آخر بليغا في فرادته رحل عنا وكنا ننتظر منه الكثير هو القاص الشاعر «محمد عيسى القيوي» الأمين المساعد لحزب التجمع في الاسماعيلية.. وسوف تجدون في «عمارة البية» قصة جديدة بكل المقاييس لغة

وبناء وفلسفة ورؤية كتبها «محمد» بعد هزيمة ١٩٦٧ بعشرين عاما، وإذا بنا أمام نص نابض بالحياة ممتلىء الدلالة محكم الصنع يتفجر شاعرية يخلقها هذا الصراع الذى لا يبدو لشدة رهافته صراعا بين عالمين.. فعن رجب أبى رجب جد رجب أنه حكى..
ثمة ثبات ظاهر فى القسمة: الكادحون وأبناءؤهم أباء عن جد.. والملوك الذين كدسوا الثروة وباعوا الوطن فترك القائد جنده فى الصحراء ينزفون وهرب.

سمعه وهو يركب الجيب يصرخ «إننى أموت سيادتك .. خذنى معك سيادتك..»
كان دم عطوة مازال نازفا .. سال الدم.. جرى.. جرى ليلحق بالجيب الجنوئية السرعة والتي مضت تنهب الرمل ثم الأسفلت ومازال دم عطوة يلهث وراءها..
إنه الدم الذى لا تستطيع بحار العالم غسله، أنه الدم الذى يدخل لصنابير مياه «عمارة البيه» فيقوض تدفقه تراتبية العالم الذى يبدو للوهلة الأولى كأنه مخلوق معنا وأبدى.. وساكن.

«وعندما خلع البيه ملابسه، ومضى إلى الحمام لينفض عن جسده وعثاء حرب لم يخضها، عالج صنبور الدش، فغطاه شلال من الدم..»
وفى صورة بليغة عن زيف عالم الكبار فى قصته تاتنا «مستقبلين زوجة المسؤول التى سبقتها ابتسامتها إلى الباب، وقدمت يديها وخديها إلى جميع النسوة ينهشهنهم ترحابا وحباً»..

فى عددنا أحزان كثيرة لكننا نعمل لكى نستخلص منها وعودا وأمل فى المستقبل كما قلت ولذا رأينا أن نحى الكاتب الراحل عبدالله الطوخى بقراءة نقدية لسيرته الذاتية «دراما الحب والثورة»، وهى التى أثارت حين صدورها قبل سنوات مناقشات واسعة حول مساحة الحرية المتاحة لنا لكتابة سيرة صادقة فى مجتمع يغلب عليه التزمّت وتستبدبه الأفكار القديمة وتراقبه عيون البصاصين السريين والعنفيين .
وهى مع ذلك سيرة شجاعة وممتعة سوف تواصل الحياة وتجري قراءتها مجددا ضمن الإبداع المتنوع لعبدالله الطوخى .

وبينما يجر «حلمى سالم» شكل طالبان مصر وذهنية التحريم السائدة بينهم يجرون هم مرة أخرى شكل واحدة من أهم كتاباتنا هى الدكتور نوال السعداوى إلى المحاكمة عن طريق الحسبة بإدعاء أنها تطاولت على طقوس الحج قائلة أنها من بقايا الوثنية وهو مانفته الكاتبة التى اتهمت الصحفى الذى أجرى معها الحوار بأنه انتزع بعض جمل من سياقها.

وسبق «لأدب ونقد» أن طالبت بإلغاء الحسبة نهائياً بعد أن تبين لها أن عملية

إحالة حق الادعاء بالحسبة من الأفراد إلى النيابة لم تكن إلا حيلة ليبقى المثقفون النكديون رهائن للأمزجة السياسية الحكومية حين تقرر أن تؤدبهم تحرك دعاوى الحسبة أو تتجاهلها إن شاءت ..

وما أحوجنا نحن المثقفين دفاعا عن حقنا من التعبير والاعتقاد والتفكير دون أرهاب أن نبلور موقفا موحدا قويا ندافع عنه بكل ما نملك من أدوات وإستنادا إلى القوى الديموقراطية في المجتمع لا فحسب لإلغاء المحسبة وإنما أيضا لإلغاء القوانين المقيدة للحريات كافة خاصة وأن الحكم بحبس الباحث الدكتور «سعد الدين إبراهيم» رئيس مركز بن خلدون» هو رسالة تهديد لنا جميعا بصرف النظر عن منطلقاتنا الفكرية ومدارسنا وخياراتنا.. وسعد الدين إبراهيم لم يحمل سلاحا ولم يشكل فرقا مسلحة بل بحث وحاضر وكتب.

ويتبع الباحث الأردني د. حسنى محمود فى دراسته «وعى توفيق الحكيم من الشباب إلى الشيخوخة» فى رحلة شاملة مع فكره تأثير قضايا كثيرة لعل أولها أن تكون الفكرة الشائعة فى البحث حول ما يمكن أن نسميه التطابق فى الموقع الطبقي مع الوعى الطبقي مع التعبير، وهى قضية مركبة بالغة التعقيد سوف نفرد لها ماتستحقه من مساحات فى أعدادنا القادمة نبدأها بمناقشة هذا البحث نفسه. فهل تعذروننا لأن أحزاننا كثيرة تلف عددنا هذا.. ألم أقل لكم أننا فى حاجة لإبتداع الأمل.. وسوف نفعل معا.

الحررة

• فى العدد القادم •

مقالات ونصوص بأقلام: ماجدة أبازة، عبد الكريم محمد على، عماد الصابر، محمود عبد الوهاب، محمد بركة، محمود الحلوانى، غادة نبيل، خالد سليمان، وغيرهم.

شعر

ثلاث قصائد

خلود محمود

خلود محمود ، طفلة ذات عشر سنوات ، التقينا بها فى مؤتمر الاسماعيلية الادبى الاول (باسم محمود دياب) . وقد فاجأت الجميع بهذه القصائد الجميلة ، التى ننشرها هنا تحية لها ، وللشعر ، وللمصر الفنية المبدعة.

" أدب ونقد "



هات فرخ أسود واكتب عليه اسمك
يمكن تقدر تاخذ روحك من جوه الضلمة
بس خد بالك
لا الأبيض يلزق فى الأسود وتموت على كده

أنا عايزة أعيط
إحساس الوردة التلى ورقها بيسقط
مع إن الشمس بتحضنها وتبوس فى عنيتها
إحساس الكتكوت الأخضر

لما يكش ويزنق نفسه جوه الحيطه
مع إن الحداية السوده مابتجيش
واتدارت عنه بعيد
إحساس عروستى اللى بتبكى
كل ما حاول ألعب بيها
أنا عايزة أعيط
حد يدور ليه
أنا عايزة أعيط



ولأنك نخلة طلعت
وما حسيتش بخوف ولا خضة
واتمنيت إنى أكون وسط العصافير
أطير وأطير وأرجع لمكانى
لكن يا خسارة نسيت
أنا أصلاً بلحة
ومن حق أى حد يهزك ويوقعنى



تعرف إيه اللى ممكن يوصلك
للدور الخامس من دماغى
سلم المناخير
حاجة غريبة؟



مع إن كل الأفكار بتخش من المناخير
وكل فكرة وليها ريحة
بتوصلها لدور

فى الدور الخامس شقة وفيها دولاب
مفتوح ، متبعزق ، مليان كراكيب
كويس إن الشقة مقفولة
الدور الرابع قيه مرجيحة
نفسى أثبتها ولو ليوم واحد

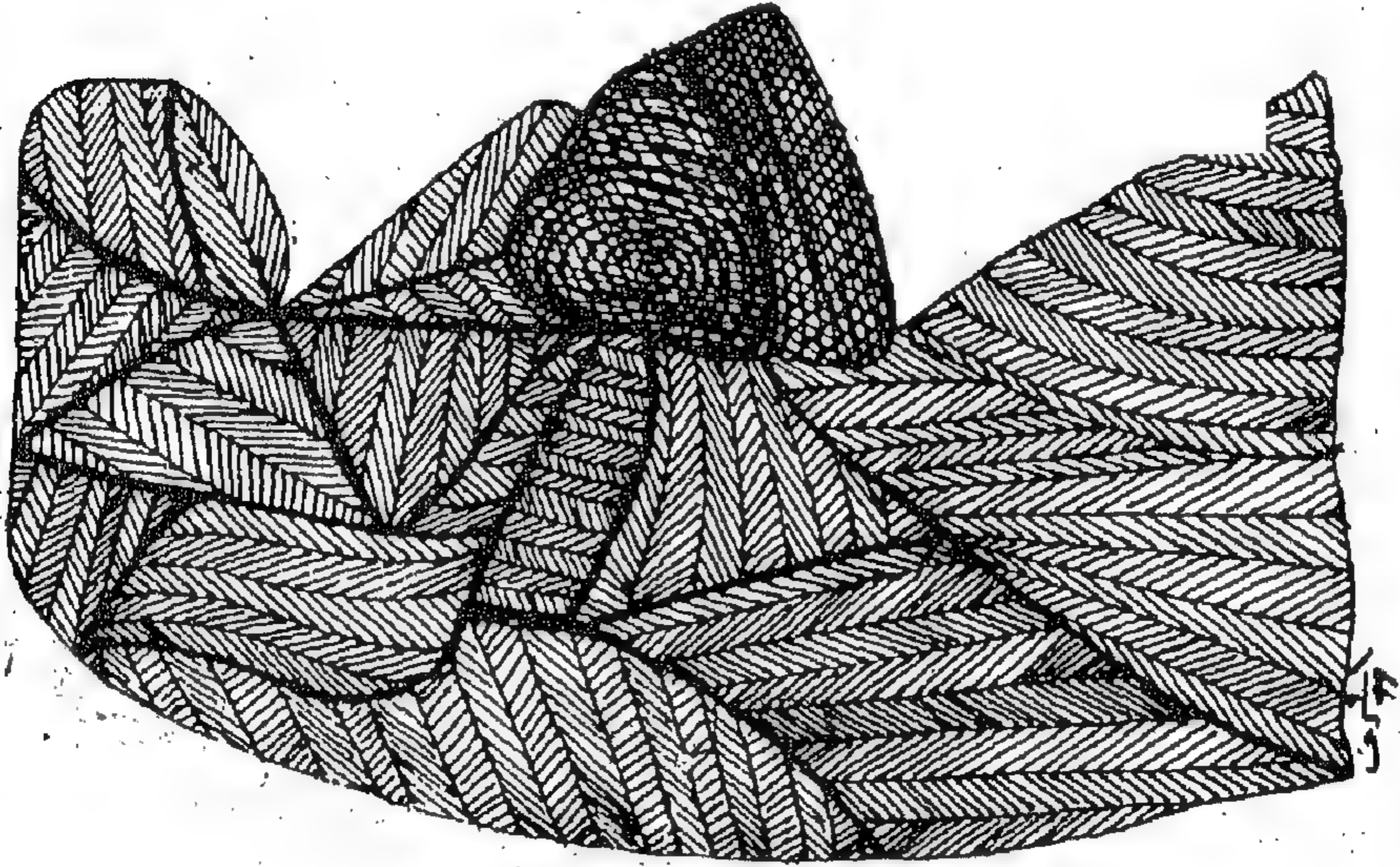
الدور الثالث فيه فرن
بيسوى الأفكار
بس مابلحقهاش
وممكن تطلع محروقة

الدور الثانى فيه شباك مفتوح
يعنى الهوى ممكن يطير الستاير والأفكار

الدور الأول مليان مرايات
سيبك منه واطلع
أحسن ماتتلخبط

ملف

مبدعون في مهب العراق



إعداد وتقديم

سعد القرشي

(فى سنوات الحصار أنبت العراق جيلاً جديداً، يتربى على ثقافة " الاستنساخ"،
(يطلقون على التصوير الضوئى للكتب والمستندات استنساخاً) هذا هو البديل
السريع لعدم تواصلهم مع العالم الخارجى ، هذا الجيل لم يتمكن - مثل الشعراء
الذين أدمنوا المهجر - من ترك العراق ، ولا يريدون ، كما أنهم يرفضون إلا أن
يكونوا مبدعين ، ولوجه الإبداع وحده أخلصوا ، وهذا يكلفهم كثيراً ليتفادوا الغماً
تبدأ بالكلام ، وتنتهى بما هو أخطر.

معظم الإبداع العراقى الآن يفيض مرارة ، لكنه البديل الأفضل لإدمان الصمت.
إلى هؤلاء الذين شارك مصريون فى قتالهم ، قبل عشر سنوات ذهببت أقدم تحية
واعذاراً ، عن جريمة ارتكبتها شباب تحت عنوان " الواجب " ، فواجهنى بيت "
السياب " ، وهو يتحدث عن الخليج الذى صار لعنة على العراقى والمصريين أيضاً:
ياخليج

يا واهب اللؤلؤ والمحار والردى

أنقذ العراقى من الردى الذى صوبه إليه جنود ٢٤ دولة . تاريخ وذاكرة لاتزال
تثير الدهشة .. ذاكرة بكر ، مراوغة ، وليت هؤلاء " البيض" كانوا متحضرين
بالقدر الذى لا يروننا فيه مجرد هنود خمر ، وهل يسمعون صرخة الهنود الأحمر -
فى قصيدة محمود درويش :

- ألا تحفظون قليلاً من الشعر كى توقفوا المذبحة؟

جاء المغول من أعالى البحار، يدمرون شعباً يملك مبدعوه أعالى الكلام ، قدمروا
الجسد وبقيت الروح تغتسل بالشعر.

رأيت شعباً محباً للحياة ، التى تعد أعظم قصائده غير المكتوبة ، ومبدعين
سكتوا دهرأً ونطقوا شعراً ، فعشر سنوات من الحصار الخارجى والنفسى كافية
لتفجير طاقات " الكلام " ، وأى كلام فى العراق الآن شعر.

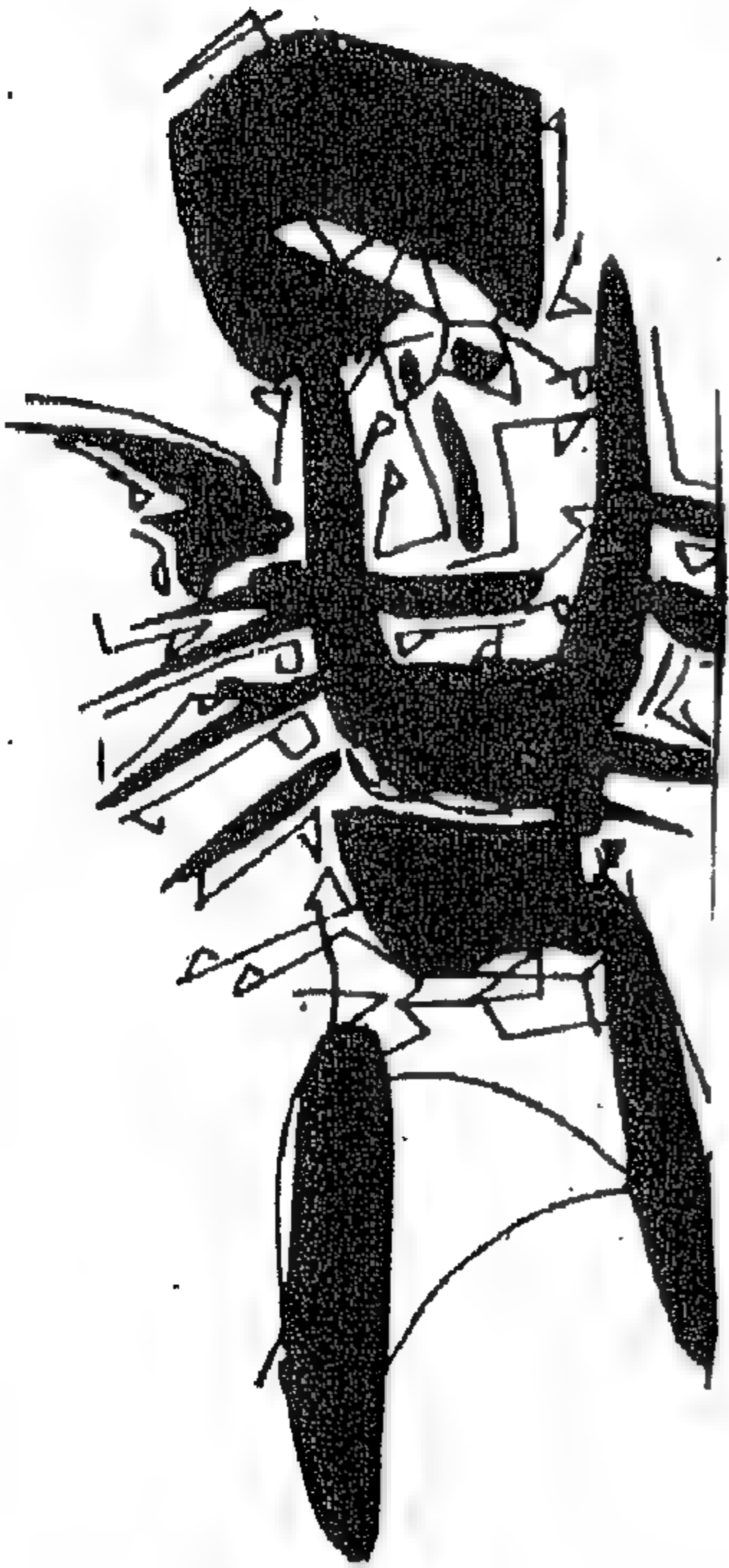
فى ذكرى الجواهري

محمد سعيد الصكار



ترجل ميمون الخطى والركائب
وغادر مسوفور الثنا والمناقب
فتى النجف الموفى على الكون حانقا
ينوء بما فى صدره من طلائب
ويحمل هم الأرض، لاخطواته
تميد، ولاينبىو الأسي بالمناكب
غضوبا يمج النار فى كلماته
ويرمى بها وجه الدعى الموارب
ولوعا بانكساء الخرائق، كلما
خبست جذوة أذكى لها ألف لاهب
يسعرها، حتى إذا عصفت به
تلمس مزهوا جراح المصارب
هو الصوت إذ يستحكم الصمت خشية
يصل ويعلو صاخبا غير هنائب
على بيست شعر منه تنسق الخطى

وتحدى ببیت منه غر المواقب
فتهتز أركان الجموع ويلتقى
هدير المنايا بالصدى المتجاوب
له الحكم لا للمدعى الحكم سلطة
يصول بشعب لا بشرطة غا صب
على ثقة أن الجموع رمت به
يداً ولساناً فى جحيم المعاطب
ترجل والعشر العجاف حصارها
يصك على تلك البطون السواغب
وغادر والكابوس مازال جاثمياً
ولحم الضحايا عالقاً بالمخالب
عجافاً تقضت والعراق رهينة
لدى عصابة أذرت بكل العصائب
وعاد بها الضرع المبارك ناضباً
ومحتلباً يمتاحه شر حال
يرص بمن عقوا الأمومة مثلاً
ببطن امها رصت صفار العقارب
فكان جزاء الرافدين وأهله
خراب نفوس تحتوى بخرائب
وغام به الأمس الذى ابتدأت به
فنون الدنى فى شرقها والمغرب
وشاخ به وجه الزمان فما درى
أ تلك غضون أم بقاء مساحب
وغودر والأحقاد تلفح وجهه
وأقذاره مرزومة فى الحقائق
يروح فريق بالوعود خفيفة



ويغدو فريق مثقلا بالمطالب
 عراق به الخمس الحضارات أسرجت
 قناديلها أمسى أسير الغياهب
 بنقمة من بالحق واللوؤم يجترى
 على وطن فى العز والمجد ضارب
 وشهوة من يستعبد الكون مفردا
 وغفلة من يرخى الكنوز لناهب
 وأهلى بفن الممكنات تعقلا
 يريدون خرقا للجنون المناصب
 فتبرق فى بعض المجالس نخوة
 ويشتط بعض فى عناد المضارب
 ويبقى فريق بين هذى وهذه
 فليس بمخضوض وليس برائب
 فيا أهلنا المستمرئين سكوتهم
 على ماجرى فى أهلهم من عجائب
 كفى خيبة أمالكم إذ يصوغها
 غريب وتبقى نهبة للأجائب
 فليس عزيزاً من يذل أعزة
 ولا صائباً من يحتفى بالمصائب
 ويا أهل عزي فى العراق توثبا
 فما عز نصر للأسير الموائب
 يفك بكم أسير البلاد ويمحى
 هوان مقيم أو مذلة هارب
 وإن تكب منكم خطوة يأت غيرها
 وثوقاً، وتغنى قوة بالتجارب
 ففيكم ومنكم ينبرى السيل كاسحاً





هزائم تطلّى بالأمانى الكواذب
سلاما ضمير المتعبين ، تجوهرت
وشفت وطابت نفسه بالمتاعب
فيا نخلة فى الشام كم أطعمت جنى
وكم أثلت مجدا فسيح الجوانب
تنام جراحات العراق بظلمها
ويصحو غد من صبحه فى الذوائب
ويا واهبا تاريخنا سفر مجده
تبسارك قبر ضم أكرم واهب
ويا شاويا فى الشام لاتأس إنما
مقامك فى كل القلوب اللواهب
فإما ثوت فى الشام منا أعزة
فللشام مثوى حينا والرفائب
وللشام أم نحتمى بحنانها
ومدخر نعتامه فى النوائب
سلام ولا حزن ، وزهو ولا أسى
على غائب عنا وليس بغائب
سلام على تلك المواهب كشفت
مواهب أهلى فى ضياع المواهب

شعر

أطرق قليلاً قبل أن يستريح

عماد كاظم العبيدي

الذاكرة كهف

متى أهرب منها الكنوز؟

هل لي عربة من حلم لايفيق؟

أشدُّ البحر على ظلمتي

أو ..

لماذا يعبرني السهل لاهثاً

ربما ..

لستقبل أدعيه ماضياً

أقول:

حملت صدفاً إلى قمر ضجر

أمضي

أو لم أفصل الروح على نخلة؟

المطر .. لاشأن لي به

المطر .. لايجيد اللغة فينزلق
حقاً

غادرني مثل تكايا الأزاهير
ذلك هو الوعد

رأيتہ قبل عام الحنين بنصف بكاء
يجمع التراب فوق صدره
خلته بانتظار عشبة الرحمة
لاأريد سكة ينطقها الغروب
ولاظل لي !!

أوقفت الشمس على طائر عجوز
فلاذت الساعة بمنقاره
أدعو الذاكرة للسؤال
وقد أخرج بين قدميها قنبلة التهم
الرمال .. هي من غرست عطل العبارة
فكيف أميز الطرقات على يدي ؟
لن أسر للطير أن لي أجنحة
ومولدي خرساء
ربما..

ستفضحني الريح بذات نزوة
أيها الماضي
لم تكن زمنا للطين
أنت جوف وأسميك قفصاً
كي استفز سنواتي القادمة.

طبيعةيون

صفاء ذياب

كالنظرة الملقاة على عاتق أعمى

تأبطوا المسافات،

فاغرين قم الصباح منذ أول الندى.

دائما يكون المارة ، وقد أسرفتهم الخمرة

متناسين الصباح.

هذا أول الموج،

وقد أثقلته المراكب بالغرقى

يبايعه المارة حيناً

ويندلقون فى زفير الشمس أخرى.

مزق من القنافذ

وشراشف من شفة الليل

تخون المساء مع نبضة صبح أحمر

ياحفافة القامات

عمود من الكهرباء أذهل السقف

ونخلة تعانق الزبد الطافح من الشهيق

وقاماتهم الممتدة على طول الصعود

ناهضة أبداً..

تتسكع بين فجوات الصباح المبرقة

وهديل وجههم ينضح أعلى

مذ أسرف البرق في لوحته

شغل المارة بريق أخضر

فانتفخ الشارع أنقاضاً

تتيمم بالقطط المزجاة على كتفها

لا المراكب أسندت راحتها على فخذ الشواطئ

لا البحار ، أسبلت أجفانها متدثرة بالوعود

لاهم يشطب الأعراس بيد صفراء

كل شئ هنا ، حاضر

إلا الدماء..

بينما المارة الذين مروا كراماً

مروا كراماً

كان الصباح مبتلعاً كل السواد

بينما السواد الذى ابتلعه الصباح

ماذا يبتلع الآن؟

قالوا: « الصباح ..

ناقذة على عالم ليس لنا «
هم الفائزون بالشوارع
كانوا إذا جن الصباح ، يجنون
وإذا أتى ليل
ينامون في خاصرة السواد
أمأ ، وقد ابتلع الصباح آخره السواد
وقد حاصرتهم بالمعاول والرمال
يلتمسون الأسفلت أن يعود ،
تدثرت بالسما التي لاتنزل الموائد أبداً ناقضة كل العهود.

..
يارصيف..

ماذا تترك للمارة حين يرمون ابتساماتهم خلف السماء ؟
ذات يوم ، توهموا أن البيوت قبور
وأن الموانئ ليست سوى قلق للبحار
وأن المراكب تتناسل من غيث المطر
وأن الأغنياء أبناء الإله ،
وأنهم ..

دائماً ..

يأتون ..

هكذا ..

فتنوعات ... نا

حاتم حسام الدين

فتوء (١)

تسقطين ذهابك على كومة من سنين

أنت سلمتني ليدى

انتصرت على بوصلات القذائف

ظالى قلبى ليتضح النهار...

كلما كبرت .. تصابت القصيدة فيك

أنا ... أنا ...

أحدث جيبى عن :

عن زغرودة أمى الطافحة بالنواح

عن دخان لا يحجبني

عن تراب لا يشتمنى إذا دسسته

عن مذياع لا يتناقض

عن حرب .. بسبب

عن مهرجان بلا مناسبة

عن دقيق لا يتأرجح فى البياض

عن مصباح يمثل لإصبعي
عن (أزنيف) مشاكلي مع يعرب السالم(*)
عن قلقى الودود من سعدى صالح(**)
عن دهشيتى من سمعة النحيل نزار عبد الستار(***)
عن تيهى فى البحث عن براثا(****)
عن كل شئ
تقريبا .. وتاما
كنت أحدث .. جيبى
قلت: الذى يريد قطفى فليأت
لن أتى معى ..
الحرب: وش ش....ش
الحدود:
والشهادات التى جرجرتنا من ياقاتنا إلى حجابات الرجولة
سرحت حناجرها...
المنافى معدة لأسماننا
من يزوجنا الحرف لنلد البوح؟
من يعبد الطفولة لنكبر ؟
من يوقظ أحلامنا ...؟ لنعيش
نعيش فقط ..
يا الفضيلة .. امتصصت وجعى
هل يداك
اللتان هما يداك
أبصرتا نتوءات خوفى من تراب
سيد هسنى
إذا
تقدم أو .. مشى ١؟

قف فى العزاء .. العرس قف
قف على قدميك
بأية لافتة سأكفن إذا مت .. ؟
مرة واحدة .. للتجربة !!

نتوء (٣)

سمنى وطننا
سأنشر رايتى خلل الرؤى
أنا الراية - أخفق ... أخفق
فهل أنت دمي ؟
سمنى أغنية تختصر الغرام
فهل من حنجرة تسعنى ؟
سأكتب مضيعتى على نهد امرأة فقدت جدواى
سأفتح نافذتى على الدخان
ولن
أشذب ماكتبته
سمنى جبلاً متهدلاً
هكذا ..
اخترت أن تؤرجنى الحروف
وعامداً
لن أشذب لحية القصيدة !!

قصة

لحن الأرصفة

نورت شمدين

جلس بألفة بليدة على حافة الرصيف غير أبه بعيون المارة التي راحت تجوب متفحصة أرجاء جسده النحيل والمغطى بثياب رثة ناضلت طويلا من أجل المحافظة على تماسكها ، أخرج من حقيبة جلدية داكنة اللون نايًا بثقوب صغيرة سوداء رصت بشكل مستقيم وشرع ينفخ فيه فيما أخذت أنامله الناعمة تتحرك فوق الثقوب برشاقة متناغمة تتوافق مع إيماءات رأسه المصاحبة للصوت الحزين الذي طاف حول الزحام ، انسباب الصوت المتدفق من الناي في الشارع المرتقى أمامه واحتضنت صدى حزنه العميق قلوب الباعة المتكدسين على الرصيف بعشوائية ملبدة بالحيرة والترقب.

لم يكن البرص المصحوب بثقل الرؤية سببا وحيدا في تجاهله لكل ما يحيطه ، فالحرب التي لم يخض منها سوى لحظة حاسمة تركته أصم ، هي التي أجبرته على قطع صلته بكل ما يدور خارج موسيقاه ، وجعلته بعيدا عن العالم المتفنن في تمزيق بعضه وبينما هو مستغرق في مداعبة الأخيلة المتراقصة في ذاكرته المتخمة بعذابات غدت مثل هاجس يلح عليه ويحلق به نحو مديات مشتعلة بسكون غريب ،

جلست بقربة فتاة صغيرة بدت من هيئتها التعيسة ، أنها قد احترفت التسول فى عمر مبكر وأخذت تصفى إلى ألعانه الكئيبة ناظرة إلى العابرين بشكل مسرحى كما تتلقى العطف بامتداد يد تطفئ لهفتها فى الحصول على مايمكنها من دخول البيت الذى يرفض استقبالها دون وارد يوم يؤهلها لذلك ، استمر المشهد على وتيرة تصاعد فيه اندماجهما فى صورة متناقضة امتزجت مفرداتها واختلطت بجرح النأى المنسكب بنعومة على الوجوه التى أخذت تحملق حزينه وكأنها اكتشفت السر الذى يجعل لهذه الحياة قيمة بالرغم من الضبابية المغلفة لآمالهم الهاربة دوما ، شعر الأبرص بامتلاء روحى وكأنه تلقى شحنة دافئة من الإصرار تجعله يواصل الحياة بهدوء ، ولم يكن ليشعر بالفتاة لولا تلاصقها العنيد بجسده الخارج من رحلة - الأنا المهشمة - تساءلت نظراتهما وهى تتلاقى مضطربة بينما الزحام من حولهما يتلاشى خلفا وراءه مساحات من الضجيج الملطخ بالفراغ كاشفا عن عرى المكان الذى يتسع ، أومات إليه برأسها وهى تنظر الى الحقيبة التى احتضنها بين قدميه ، وبحركة لإرادية وجد نفسه يخرج منها نأيا صغيرا تلقفتها منه اليد الصغيرة وعبارات الشكر تنهمر عليه ، بينما كانت شفتاه تقاومان ابتسامة عنيدة أرادت الخروج رغما عنه ، تفحصت الفتاة الهدية مفكرة بالثمن الذى ستجنيه من بيعها وأحست بلحظات هشة من الطمأنينة سرعان مابددتها رغبتها الشديدة فى تعلم العزف على الآلة ، لشعورها الفطرى بأن الأموال التى تنتفخ بها جيوب سالكى الطريق ستنتقل بقناعة أكبر إلى كفها الصغير فيما لو اتقنت عزف النأى ، الأمر الذى سيجعلها تتمتع بمكانة مرموقة بين مثيلاتها المسخرات فى تبيد طفولتهن من أجل أن تتكور كروش مستخدميهن المتخفين خلف ثوب التعفف ، وبلهجة تسولية اعتادتها طلبت منه وهى تشير إلى النأى أن يعلمها كيفية استخراج تلك الأصوات الحزينة ، أدرك ماتريده الطفلة من خلال استرجاع صورته القديمة وهو يذرف ماكان متبقيا لديه من الدموع للحصول على مبتغاه..

وقعت عيناه على قدميها العاريتين واللتين كانتا كعصى غليظة حَجَرها الأسفلت

الملتهب فى الشوارع وشعرها الملتصق ببعضه كإبر بلورية تكسرت حنينا إلى قطرات ماء تفسلها ، ظل يحدق فى الناي المرتجف بين يديها فأحسه يستنجد وهى تواصل توسلاتها قال متمتما:

-إذا أردت أن تنجى فى استدراج الناي فعليك أن تعامله برفق وأن لاتجبريه على البكاء.

لم تفهم الصغيرة ماقاله ، تذكرت عذاباتها وهى تستلقى خلف الباب الذى اعتاد أن يوصد بوجهها كلما عادت من رحلتها المضنية بكفين خاويتين لتطرق الباب المنقوش بدموع توسلاتها كل ليلة ، بينما الرابضون خلفه ينعمون بدفع الثراء وترتسم على أجسادهم صلابة الأزقة الحجرية التى تطوف فيها باحثه عن مفتاح ذلك الباب وهامى الآن تجد فى هذا الناي معبرا نحو آمالها الكبيرة المتعطشة الى يوم تفتسل فيه من ضياعها كفكفت دموعها بذراع اتسخت بالغبار الممزج بالدخان المنبعث من عوادم السيارات وقالت له بنبرة متثاقلة :

- علمنى كيف تفعل ذلك ..! وأعطيك نصف مايمنحونى إياه.

وأشارت له براحة يدها الفارغة فالتمعت فى عينيه المحاطتين بهالة من البياض صورته وهو يقبض ثمن ألقائه دموعا ينفقها فى شراء عزلته استرسلت بياس ..

- هل ستعلمنى ...؟

- !.....

نفضت المدينة عن شوارعها انتعاشات الخطى وانطلقت الريح كحصان جامع تجوب الشوارع الفارغة وتكنس عن الأرصفة بقايا الترقب لأحلام تعثرت وأخرى اختارت الرحيل لم يبق فى المكان الفارق بعتمته سوى عزف لأنين متقطع يطلقه الناي الصغير.

تشابكت الخطى وامتدت بخطوط متباينة خلف الرصيف المكتظ برغبات تائهة وسائرة دوما باتجاه حاجات اكتنزت فى حجرات العقل المنسية ، ومن بين الحشود الأدمية المتموجة فى تشعبها المضنى والطويل ، ظهرت امرأة بملامح فتية تسير

بتهاد كأنها تبحث عن زمن مفقود ، ممسكة بيد طفل بدت على وجهه المشاكس إمارات المرح ، بينما كانت عيناها الحاملتان تبحثان عن حلم قديم.

توزع الباعة بشكل متواز فارشين بضائعهم على طول الرصيف وصراخهم المتعب يعلن عن جودة مايباع ، توقفت المرأة بعد أن أمسك طفلها بمعطفها البنى الطويل ، وبالحاج شديد جرّها إلى إحدى (البسطات) وأخذ يتفحص البضاعة بعينين فضوليتين لم يكن هناك سوى تماثيل صغيرة ، وصور عديدة لمثلين مفتولى العضلات وممثلات جميلات ، إضافة إلى لوحات فنية كانت خارج اهتمام الطفل ، كمنارة الحدياء والموناليزا وبرج أيفل ، والأهرامات ولعب بأشكال غريبة ومختلفة تمثل أدوات الحرب كالدبابات والطائرات المقاتلة والبنادق الملقطة وعبثا حاول البائع أن يغري مخيلة الطفل فى اقتناء شئ مما يعرضه ، سحب أمه من يدها وتنقلا بين الباعة إلى أن وقعت عيناها على شخص ذى شعر ناصع البياض أدار ظهره للزحام وعلى مقربة منه استلقت حقيبة جلدية برزت منها رؤوس عديدة لآلات خشبية أثارت فضوله ، أطلقت المرأة يده والدهشة تكسو وجهها ، التقط الطفل نايًا صغيرا والتفت إلى أمه معلنا عن رغبته فى اقتنائه ، ظلت الأم جامدة فى مكانها فى الوقت الذى نهض فيه رجل الناي متثاقلا من المكان الذى أدمن أنينه ، حاملا حقيبته برفق ، تلاقت نظراتهما بذاك الارتباك القديم .. وافرّج عن تلك الابتسامة العنيدة التى قاومها ذات يوم ، ثم ربت على رأس الصبى الذى وضع الجهة المعاكسة للناى على شفّتيه ، وقال ببصوت هامس وهو يسدد نظرة أخيرة الى الناي :

- إذا أردت أن تنجح فى استدراج الناي يابنى فعليك أن تعامله برفق وأن لا تجبره على البكاء.

ثم مضى وعينا المرأة تتبعانه ، كانت متيقنة بأن الدموع تكسو وجهه الآن ، ظلت عيناها معلقتين بالحقيبة المتدلّية على كتفه ، ويدها ممددة فى جيب المعطف تقبض على ناي صغير توقف عن الأنين منذ زمن بعيد.

قصة

حرة على الجسر

خيرى عباس

توقفت مرتين على الجسر متثاقلة الخطى ، قبل الوقوف الأخير فى وسطه.. وبذا تكون هذه النقطة هى الأبعد عن مياه النهر فتسهل مهمتها القاسية.. والأبعد بذات الوقت عن الشاطئين لتضاف سهولة أخرى..

ولكن !

كيف سيواجه أشقاؤها عامة الناس ؟ .. ويواجهون الأصدقاء ؟

لاسيما أن أعدادا من سكان الديوانية قد نزحت إليها من القرى والأرياف .. ولو - لعنت الشيطان - وعادت بخفى حنين إلى المدينة ، كيف ستواجه الأم التى طالما حذرتها منه؟ إذ هى على دراية أن السفر هاجسه يقصد الدراسة أو الإقامة أو مايجبر له هذا ..

عدا أن الكثير من شباب الحى يعنى النفس بها ، وهى لن تمنى النفس إلا به ، لذا لقبتها أمه - أكحيلة - عن استحقاق ، فبعد مضيها لبعض الوقت فى غرفته تنهض لتضع لمساتها على جميع مقتنيات الدار ولوازمه لم تدع صحنأ. أو قطعة ملابس

ألا وغسلتها وبالذات ملابس أمه .. التى أحببتها بصدق .. والحق ، أنها كانت كحمامة بيضاء هادئة ووديدة .. كغزال برى فى لفتاته كثيراً ماأضافت إلى المنزل هالة رائعة بتشكيلات ملابسها وتسريحات شعرها..

كان الشريط الأسود بعرض إصبعين المطوق لجيدها قد أضفى عليها الكثير الكثير .. كانت واثقة الخطى فى المنزل .. واثقة منه تماماً .. فعما قريب ستأتى رسيماً إلى الدار، وبذا تلقم لأفواه الماطة للشفاة هزءاً بحجر .. فأمها حين امتثلت لإرادتها قالت ذات صباح : إنها كفيلة باسكات أشقائها.

كانت الأيام مجهولة .. ومتسارعة ..

مر عام حين أنهى الدراسة الإعدادية ، كثيراً ماكانت تأتى جلسة كعادتها .. تمضى أوقاتاً قربه، وبذا عرفت المقادير وحاجيات طاولته والزاوية الأثيرة لها ..

لفت نظرها ذات يوم أوراق رسمية وجواز سفر ، توقفت عند ورقة قد دونت بآلة طباعة انجليزية كانت قد صدرت منذ شهر من رئاسة جامعة أوروبية متضمنة فحوى قبوله. للدراسة فيها .. قرأتها بامعان بعينين دامعتين من الخوف والفرح .. فرحاً لمستقبله وريبة على مستقبلها ..

- حقاً يامعن ستسافر ؟

- نعم أيتها الغالية ، لأجل عينيك أفعل كل شئ !!

- وإن مكثت هناك ؟

-

- وأن الجميلات هناك كثيرات ؟

- وأنت رجل شرقى ؟؟

- لأيتها العزيزة فأنا معن .. ونحن معاً إلى الأبد.

لن تفصلنا المسافات ، وخطوط العرض والبحار ..

تذكرت هذه الأحاديث وغيرها التى مضى عليها عقد من الزمن.

تذكرت . وتذكرت أشياء وأشياء كثيرة بأمل قديم وخوف جديد عندما أقلتها



الطائرة مع أمه إلى المدينة التي مكث فيها ، حيث استقبلهما في مطارها ببلاهة
وفتور هو وامرأة شقراء إذ فوجئ بها مع والدته..

على مضض ذكر لهما بأنها زوجته ، حين دوهم بسؤال وأن الطفل الذي يتوسطهم
هو ولده ..

أمضتا ليلة في البكاء بخفوت في شقته .. عند الصباح أقلتھن الطائرة إلى
بغداد حيث جسر الأحرار يتوسط المدينة..

شعر

حروف الموت

عبد الستار جبر الأسدي

أحد مات هنا
ولاشئ منه سوى رائحة جوربه العتيق
عيونه يقظة جولنا
ولانستطيع رؤية أنظارها المخططة بالرحيل
تتلفت ابتسامة من نافذة إلى حائط
فتسقط على جناح فراشة متعبة من الضياع
تستل من قلوبنا خيوط الدهشة
تلفها حول صرته الهزيلة التي رماها من السقف عصفوره الجنوبي
تفتحها أنامل استغرابنا
فما نجد غير بقايا خبز يابس وفتات كلمة وحيدة بعثرت الريح
حروفها في كل مدينة ..

يرتعش الحرف الأول من الانتظار
فيحزم حقائب برده
تتبعه نوارس النهار الذابل
فينزوي ساحل الدقائق الأخيرة في لوحة مهمة على حائط
النسيان

هكذا تترك الأيام أحلامنا مصلوبة
وعلى كاهلنا تنسى هموم الزمن المر
ولاوقت يسرقنا من الرصاص والكلمات الثقيلة
لاربيع يطرق أبوابنا
فنذوب مثل شمعة على يد جدة قتلتها حكايات الخريف..
يدنو الحرف الثانى من سرب الجثث التى سقطت من على أكتافنا
يتلمس وجوههم الفارغة من الحياة
فترتجف يداه من ملامحهم المكتظة بالذكريات
أطفالهم يتدثرون بصمت الليالى الكئيبة
ونسأؤهم من الوحدة تحولن إلى قوالب من ثلج ذابت فى زوايا
غرفهم الضيقة
أما دفاترهم العتيقة فتطايرت أوراقها فوق سطوح أيامهم القاحلة
صحراء من الحسرة طفولتنا
صحراء كل أيامنا القادمة
وفى كل شبر تبصره عيوننا رمال من الأسى



فمتى يظهر زمن الواحات؟
من تابوت القلب يقوم الحرف الثالث
أربعون عصفورا يحملون قميصه الملطخ بالفقر
يرشون ندى تأتأته
ثم يرسمون على الأفق جسدا بلا رأس ولا قدمين
فيهرب الهواء من رائحة الانفصال
جراد الفساد يزحف باتجاه البيوت
يلتهم ما تبقى لنا من الشرف
أما الناجون من الانجراف فيكسر أغصانهم
وريثما نعاود الوقوف سنبقى طويلا بلا خطوات
وانحناء الظهور سيصبح علامتنا الفارقة..

قصة

انتحار فوق صفيح ساخن

معن عبد القادر

جلست إلى أصلة نبتة ، وردة وأوراق خضر تعيش في الظل احتفظت بها في شباك غرفة الجلوس ، هالني أن رأيت التربة وقد أصابها يباس مقحف . يبدو أنني قد نسيت ليومين متتاليين من أيام الصيف القائن رشها بقطرات من بلة ماء إما بسبب انشغالي بأفة العيش اللعينة، أو لعبثية أصابت ذاكرتي التي ازورت واقوعرت !..

دققت في الذببة النظر قرأيت ذبولاً يصفع خد الوريقات ، واصفراراً بدأ يلون بشرتها التي كانت خضراء . فأخذت أواسي صبرها ، وأهدد كتف وردتها وأسقيها من سائل الانتظار " الأيوبي " وأصيب في حلقها من دواء الفرج " اليعقوبي " ، وأرغد عزيمتها كيما تفوض أمرها إلى الله مثل كل الصالحين عندما يمسه الضر ويقرصهم الأذى وتنوش ذيول ملابسهم حبال من مسد..!

سمعت لهيب أنفاس الجذور تتصاعد من بين ثنايا التربة ، ولسعات الألم تفرقع من حول أطراف الساق . أما الأوراق فكانت تطاول نفسها لتذرف ديمة حزن واحدة فلم تقدر .. فحولت كمرها إلى ذبلة عين والتواء عنق واعوجاج فم وأنات مكظومة لايسمعا سوى الذين تعلموا قراءة لغة المظلومين !..

اقتربت من النبتة أكثر وفي نفسى أن أكفر عن جريرتى وأخفف من غلواء
فعلتى فقممت أحكى لها عن الماء ، ذلك السائل العجيب الذى يصير فى السماء غيوماً
وفى الأنهار شلالاً وتيارات مسرعة مبطنة ، وينقلب فى البرادات إلى قوالب ثلج
وآيس كريم وموطا . ثم حكيت لها عن مركبات الماء السحرية الذى قطرة واحدة منه
تشفى العليل وتروى غليل التائه فى الصحراء . المادة التى مركباتها ذرتى
هيدروجين وذرة أوكسجين وفوقها أملاح وكبريتات ومعادن بنسب مقدرة
ومحتومة ومحسوبة بأمر الله .

السائل الذى إذا ماجرى فى أرض صار الوادى وديانا والنهر أنهاراً دفاقة تصب
فى البرارى وفى الصحارى فتتقلب إلى حدائق أعناب غناء وجنان حسان منظومات
. كنت أحسب أن كلامى الموصوف والجميل عن الماء سيصيب فى قعر أذن النبتة دواء
سحرياً فيعدل من انحناء قامتها ويزين من شكل ساقها ويلمع من اخضرار
وريقاتها .. لكن شيئاً من ذلك لم يحصل ، فحزنت أشد الحزن ولبسنى لبوس
الغضب والنكد . يبدو أن كلامى عن الماء ، وعن صناعة الكلوروفيل وعن تحليل الضوء
لم يفت فى عضدها فبقيت عصية على المعاشة والتألف والرضا لتسرع إلى الذبول
.. وأنا أتمادى فى الموعظة الكلامية ...!

فلما عدتها فى المساء هالنى ما رأيت .. فقد انطوى الساق على الساق ، وانكفأت
الذابلات على أختيها ، تخوتها فى مياسمها ، مصفرة ، محترقة الجوانب والأعالى ؛
يبدو أن النبتة ماسمعت كلامى الجميل عن الماء وأوصافه ..!

لقد لامنى بعض الأصحاب على فعلتى وهجونى بسبب بطاء إغاثتى ، فسكنت
على سياط تقريعهم وصبرت على عسف بلواى .

وفى اليوم التالى قمت إلى صنبور الماء أريد حل وثاقه ، فقد حل الزنجار فى
بطنه من الداخل من هول الفراق وغادرت الكهرباء أعشاش أسلاكها ..

عندها تذكرت جواب " ديوجين " عندما سأل " الاسكندر " عن مطالبه وهو يئن
فى الجب فى قيد ثقل .

دعنى أرى الشمس بنفسى .. فكفانى كلاماً عن النور ..!!

شعر

شيء ما

فيصل القصيري - نينوى

لحم الحائط شيء مامنكسر
والشارع طفل يبحث عن أبويه
وهناك على الكرسي
بقايا إنسان مقترب
ضاعت خلف العصف ملامحه
فتمنى أن يحجز
تذكرة

تذكرة لدخول مدار النسيان
قصائد الأفق

في الأفق المنسوج بخيط دمي
كبلت جنون البحر
وأطلقت جموح الحجرات
وكتبت حضوري
في دفتر نيسان

* * *

فى ذاك الأفق امرأتان
واحدة من ثمر الرؤيا
والأخرى من نزق الألوان
حبهما أكبر من أن يكتب كإعلان

* * *

فى ذاك الأفق
أكون أنا الأرضى
لست أنا الأرضى
اتخذ النجم بيوتا
ومرايا
ونساء
وأقود الغيم إلى المنفى
وأقود الشمس إلى البشرى
كى تتولد معجزة أخرى.
لاقتام .. ذاك اسمى
لافضاء قبلى
لافضاء بعدى
المدى دم على الرياش
بينما يساقط بيض الملوك
فى سلة الفراغ
ولاقتام .. هناك دمي
يتفتح كالوردة الأولى
فى صباح النشيد
لاقتام .. ذاك اسمى
نجمة مهيأة للخروج
من طلقة كالعواء

شعر

يوما إثر ليل إثر حادثة وفاجعة أقل فجيعة

ريم قيس كبة

قال الطبيب مطمئناً قلق البنين على أبيهم

لاتخافوا قد يموت بعيد شهر أو يزيد

قولوا له ألا يخاف فلن تؤلمه الإبر

- اشرب عصير الفاجعة

ستكف أنسجة الدمار عن التناسل

قد تعيش فتشهد الحرب الأخيرة

قد تموت ، فلا تراها

لاتنم إلا قليلاً

قد يجي الموت أسرع من تنفستك البطيء..

كل ماتشاء

وكن رحيماً

فالجيوب شحيحة

والبال مملوء بآلاف التفاصيل السقيمة

..

هانحن نحن

من التراب حياتنا مغبرة
ورثاتنا ملأى
وأعضاء الحياة بجوفنا ملأى
بكل رمال هذا العصر
قال: استأصلونا!
نأتى إلى الدنيا فتملؤنا بكل تلوث الأفكار
نرحل نادمين على الرحيل
ماذا نقول عن التوهم والطفولة ؟
أى أحلام مضرجة تعيش على ترقبنا ؟
طفيلي هو التوقيت فى أرحام هذى الأرض
يشرب كل نسغ فى تلهفنا
وصوفى تشبثنا بتربة ماتبقى فى جوانحنأ
..

هنا .. فى الرأس
زوبعة من الأفكار يمسح بعضها بعضاً
تحاول أن تحيد الرأس
تفصله عن الجسد المدمر
فى الجنوب :
أصابع القدمين تذبج كل يوم إظفراً أو جمهرة
فى القلب : " باء الفاتنة
حسناً من ألق تسوى شعرها
وتعطر النهدين .. تلبس أفخر الأثواب
لاينتايها وجع ، صداع ،
أو تحس تورم القدمين
لاتصفى لغير عقارب النبض التى تمضى بها
.. عكس اتجاه السير .. دوماً

لايهم الآخرون
فالآخرون تعلموا فن التقافز ، أسرفوا
فى حبهم للشمس والتحليق
حتى أنهم مدوا شرايين الشعوب
ليشربوا نخب التصاعد
والنفائيات التى فى جوف خاطرهم
رموها فى ضمائرنا
إذن .. لا تبتئس أن تفقد الأرحام دورقها
بفعل تسلط الأشياء
لن تضع النساء سوى قروود .. أو بغال
.. ذاك أجدى

..
فاقترف وأداً سريعاً للأجنة

اقتلوا غودو..

قبيل ولادة الأيام

غودو قد يجئ ملطخاً

غودو

سيمفحنا

بقايا

الانهيار...

قصائد قصيرة

نجاة عبد الله

من يهب لنجدة المجانين

فى

هذا الصباح العاقل

لقطة الكترونية

كنت أظهر فى التلفاز

قطعة بأصابع عنقاء

صفعت الضوء

إذ أخطأ

فى تقديم فرحى

فى أول عرض للأحزان

سلام

أسفى عليك

أيتها الحروب

وأنت تتبخترين

فصول

مر

شتاء كاللص

قبل الشبابيك

ومات

نمو

مادمت شجرة

أيتها الأغصان

لم

تحملين الحصى

وثمرين

عرش

تحيا ملكا

أحيا رصاصة

بغير أعداء

حياة

لأمتلك بقرة

لأعيش طويلا

بين الأشجار

طفولة

هل عرفت الآن

بأنى فستان عقيم

أيتها الدمى

ذوبان

أعتذر عن

إكمال المسير

إذ

أخلع قفازى

وأحتضن الجليد

براءة

أحب

على طريقة القمط

وأحلم

على طريقة الفراشات

حقيقة

تلك الصدفة

اللاحدود لها

من أين سأقفزها

ذكرى

يا للأشجار

ونحن نثقب الذكريات

بالأعوام المرة

ونرمل

صحراء نسيانها

وهم

لم أحلم

وأنا ممسكة بالأرض

أن كلينا سينهض

ويعلق

قبلة على الباب

أصابع القافلة

عبد الرسول عداى

على غصن يستحم بالعاصفة
تظل القافلة
تزهر بالأجوبة
ولاسؤال يهمة الحصاد
كتحفة من تمانم التراب ترفع ملاذها
ملاذها كف من الجذب
وعينان من الجمر
وأثداء من الهواء

* * *

وحين تطلق أشباحها إلى ماقى المدن
يوخزون ابتذال الاهتمام
يوصدون أصابع الاتهام
ويقرأون بؤرة الاجحاف

فى وجوه الكلام.

هل يولدون ؟

يضمنهم تجمهر القيود

تلتهم ألسنتهم أجوبة الصدا

تلسعهم أفاعى الخيبة

وحده الهدهد من يعود

يؤجج فى حوافز الرمز بداهة الأمثلة.

* * *

سيل من الجنائز تولده القافلة

على كتفها ترفرف جدائل الحرمان

وشفتيها بلاغة مسرجة

آلام الطفولة

تمرغ أشداها بالرماد

أهكذا تستبسل فى احتضان السؤال ؟

دموع تطفأ السنين

كؤوسها عطشى

ورمالها فى الحقائق

يودع الأجنحة.

* * *

جلى أن القافلة تحتضر

واتجاهها جسر متجمد كقبلة الصلاة

وأفاعى الجفاف تنهش ليلة زفافها

وتغزل القيود صراخها

تنهشمها زركشة الكفن



وعريسها خفاش مبطون

وأنا حائك أعمى

وأنت شاعر أخرس

وفى قرار البتر يحترق إجماع التبن

* * *

إن فاتك فاتك العرس لاتفتك المجزرة

ماتزال جوافر الحرمان توسع المقبرة

ماتزال مآثر الشياط

تمارس ثقافة العقول

والقافلة غارية

سوى من لباس الجراح

وعلى مرأى عشرة أعوام موتورة

تصلب الاتجاه

انتهى الملف

تحية

محمد على طه وأطفال فلسطين؛

يلوونون سماء القدس

فريدة النقاش

اعتدنا لزمان طويل ألا لانرى فى إبداع الفلسطينيين الأدبى سوى الشعر فى غالب الأحيان ، وبقيت أسماء توفيق زياد ومحمود درويش وسميح القاسم وراشد حسين وأحمد دحبور ومريد البرغوثى وفدوى طوقان وغيرهم تزيح إلى الصفوف الخلفية أسماء قصاصين وروائيين كبار قدموا للمكتبة العربية نصوصا مهمة عبرت عن مجنة الشعب الفلسطينى فى إسرائيل وفى الشتات والأراضى المحتلة على حد سواء بفنية عالية أمسكت بالروح المناوئة وجذوة المقاومة معا ، لكننا بقينا نحتاج أكثر إلى النشيد والقصيدة فكان أن ظلمنا إميل حبيبي ويحيى يخلف وسمر خليفة ومحمد على طه وآخرين.

ومحمد على طه هو أبرز كتاب القصة القصيرة بين الفلسطينيين الذين بقوا فى أرضهم بعد اغتصاب فلسطين عام ١٩٤٨، وهو أشهرهم وواحد من أكثرهم تكاملا فنيا وأغزرها إنتاجا وقد تكونت خبرته فى مقاومة الأوضاع الظالمة التى يعيش فيها الفلسطينيون فى الدولة العبرية منفيين فى وطنهم وقد تعرض للسجن والملاحقة أكثر من مرة وصادرت السلطات الإسرائيلية مجموعته " وردة لعينى حفيظة " واعتقلته بسببها.

" والولد الذى قطف الشمس " هى مجموعة منتقاة من كل أعماله نشرت فى القاهرة دار قضايا فكرية ، وكتب لها الناقد الكبير محمود أمين العالم مقدمة قال فيها " إذا بى أشعر منذ البداية أنتى لأأكاد أقرأ ، بل أنصت فحسب إلى من يهمس فى أذنى قائلًا دون أن يقول :

وحدوا الله .. كان ياما كان .. ويكون كذلك حتى الآن .. "

" محمد على طه إذن هو الحكاء الشعبى الذى يروى عن وقائع وأحداث صغيرة وكبيرة أبطالها أناس آخرون يتفرج هو عليهم ويسخر منهم أو يتعاطف معهم ، وهو أيضا الراوى المتسلط العليم بكل شئ وهو ضمير المتكلم المفرد المتورط فى مرارة التجربة والذى ينضج فيها ويراقبها فى آن .. بل هو أيضا المسلح بالوعى الناقد الثاقب غير الراضى عن حال أهله الساخر منهم رغم محنتهم ، ويقف وعيه الناقد هذا فى مواجهة الوعى الزائف والأفكار المشوشة .

فى اللجنة تبدأ القرية تمردها ضد رمز السلطة باختيار " بن رباح " البسيط " بن راعى مجال بلدنا أيام كان لبلدنا عمال ومراع .. "

وتتردد هذه الجملة على امتداد النص كأنها ختام المراثية الطويلة المضمرة التى لم نقرأها أو نسمعها لكننا نشم رائحتها فى حالة القرية الفقيرة . تختار القرية بن رباح فى مواجهة المختار " العمدة " حسن عبد القادر الميسور الذى يستغل القرية ويصادق السلطات ولم يستطع أحد أن يعانده طيلة عشرين عاما لأنه كان قادرا دائما على استعداد الأقوياء .

ولا ينسى الراوى الذى يطل كحاك على الربابة أن يؤكد لنا على أن تمرد شباب القرية قد حدث فعلا حين يقسم بحياة سيدى الخضر .. ويأخذ فى الحكى بادئا : وحدوا الله ..

القرية دون شارع مرصوف وقد اتفق الجميع على توفير الأموال لرصفه وانتخبوا لجنة فشل المختار فى كل انتخابات لمواقعها فكان يحصل على صوته فقط

رغم أنه " بن حكومة وصديق الشاويش حاييم وصاحب سالم ضريبة الدخل " ويدافع عنه ويتحالف معه رجل الدين الشيخ مسعد.

لكن المختار لن يسكت

" وعلى ذمة يوسف مسعود " إن صاحبه ابن رباع عندما عاد أمس إلى داره وجد جدته العجوز العمياء تقص لأخته الصغرى حكاية الحية الرقطاء التي كانت تخرج كل سنة في آب وتفرغ سمها بأول من تصادفه من أهل بلدنا.

وزاد عدد ضحاياها بمرور السنين حتى تذر الجميع وهجم عليها رجال القرية بالعصى والحجارة وأجبروها على الهرب والاختفاء في كهف أم عيسى.

وتعتقد جدة بن رباع أن الحية الرقطاء مازالت حية ترزق وأنها تنتظر الفرص الملائمة لتهاجم الناس من جديد ..

إنها الأمثلة التي تكثف دلالة القصة ، وتحذر السامعين إلى التغيير من أن العدو ليس في الخارج فقط ولكنه في الداخل أيضا وإن اختبأ حين وذلك اتساقا مع الروح النقدي الذي يأبى أن يرى في الوطن الجريح كلا مثاليا صافيا متجانسا وجميلا وجديرا بالعطف وحده بما أنه ضحية.

وفي " المعركة " يلجأ ممثل العدو للعب على التناقضات الصغيرة فيما بين القرى والعائلات والجاراات ويحرضهم ضد بعضهم البعض فسيستجيبون ويتعاركون ، ويطلب منهم ممثل السلطة إعطاء أصواتهم الانتخابية للحكومة بوعده أن يكون منهم رئيس مجلس محلي وأن يعين بعض أبنائهم في البنوك.

" وجاء اليوم الموعد وأعطينا الأصوات كاملة .. والحقيقة أن الجارة التحتانية مانكتت بوعدها أيضا..

وهاقد مضت سنة - ياسيدي - كما ترى وبلدتنا مازالت كما هي ..

ينتظم هذه المجموعة خيط واحد متصل هو الفقد .. القرى التي دكها الاحتلال الأماكن والأشجار التي اندثرت وبقيت حاضرة في الصور تنادى أصحابها، البيوت التي يحلم بها سكان المخيم، فالمخيم هو غالبا المكان الذي يكاد يتمتع بسلطة وجودية

على مشاعر الناس وتطلعاتهم وملقهم .. هو أيضا حالة العبور والانتقال والتأهب
لشيء جديد .. قد يكون هذا الجديد فقدا آخر أو ربما معركة مع العدو ضد الاستيلاء
على الأرض أو نهب حقوقهم ، أبطالها هم المزارعون والعمال والطباخون
والحجارون ، وهى الأعمال التى لم يتح لأبناء فلسطين تحت الاحتلال سواها..

ثمة أيضا رحلة .. هى رحلة الوعي من التقليدى الى الجديد .. ورحلة الفعل من
الإستكانة " اليد التى لاتستطيع عضها بوسها" أو إلعب وحدك تكن راضيا.. " إلى
الرفض وبدء المقاومة حين يولد القادة من بين شباب القرية ومراهقيها ، ونتابع
نحن عملية الولادة خطوطة خطوة ، ويحدثنا الراوى عنهم كأنهم أصدقاؤنا
ومعارفنا القدامى " وصلت إلى أم الحجارة ثلاث دبابات فجرحت عائشة وكسرت
ساق حنا .. "

وهم يكتشفون " أن الخواجة يامحترم . يخاف من العصي والحجارة أكثر مما
تخاف جارتنا الدينية حرمة يوسف العلى - من النار.. "

ونكتشف نحن القراء أن للحجارة تاريخها الخاص مع شعب فلسطين .

ويستخدم الراوى أيضا تقنية الإسناد والعنونة ليقنعنا بصدقه ويدخلنا إلى
أجواء عالمه بحميمية ، ، فعن فلان .. عن فلان .. عن ..

ثمة علاقة نصية جامعة تنسج خيوطها وشائج مع كل من القرآن الكريم والحكى
الشعبى إذ يستوحى الكاتب بعض الجوانب الفنية أو الفكرية فى العالمين تجمعها
بهما أو بعض الجوانب تضعه على النقيض منهما فيكون هذا الامتلاء الدلالى لبعض
الشخصيات والذى يرفعها إلى مستوى رمزى شأن حفيظة فى " وردة لعينى
حفيظة" فهى " كلما طال الزمن ازدادت حفيظة حلاوة ، وكأنها تختلف عن كل بنات
جنسها وكلما طلع جيل فى بلدنا تعلق بها كأنها منارة جمال تشد إليها العيون
والقلوب ، وماتجعد لها وجه ولاشباب شعر ولاترهلت إليه .. " ونستطيع أن نرى
فلسطين فى " حفيظة" لاحظ أيضا اسمها ، وحفيظة ليست ولادة بالمعنى

البيولوجى ولكنها أيضا ليست عاقرا .. إنها الموجة التى ينشدها البحر والشباب الدائم الذى تتعلق به القلوب وهى أيضا البيت التى تحلم بدار وبيت .. وعالم جديد آمن.

وللسرد الشعبى إضافة إلى كونه أداة بناء وظيفية التعبير عن المواطن الفلسطينى اللاجئ فى وطنه فى خصوصيته الاجتماعية والتاريخية وفى نضاله من أجل البقاء .

والسخرية هى أداة رئيسية فى بناء هذه النصوص .. وفى خضم الجدية الشاملة حول تقييم ركاب الباص لموقف الشاب فارس رتيبة " البولشوفيك" الذى تعرض للضرب حتى يتوب " انقسم ركاب الباص الى فريقين فريق يؤيد فارس رتيبة ويؤيد عاجلا أم آجلا .. وفريق أكبر يعارضه ويؤيد عرب جرب .."

وفى وردة لعينى حفيظة " أما على الطرف الآخر من الجبهة فيقولون - والحديث ليس مسندا - إن السكر قد انقطع من دكان حسن الدرويش"

المدينة فى هذه المجموعة هى مصدر للمتناقضات لأنها موضع الحداثة ومنها يأتى الغريب المجهول العدو" فى ذلك الصيف ياسيدى وصل رجل غريب من المدينة كما يظهر من لباسه وكلامه - إلى بلدنا - كان يركب سيارة حديثة .."

وفى كل من " الولد الذى قطف الشمس" و" العلم" إشارات للمستقبل ذات بنية شعرية مضمورة وكثافة دلالية أسرة ..

ياقمر وجه حبيبى أجمل من وجهك

حبيبى ذكى وأنت غبى

حبيبى شجاع وأنت جبان

حبيبى يقاوم الاحتلال وأنت تنير على الجميع:

ثم:

سألته متى؟

أجاب: حين يقتل الشاطر حسن الغولية

حين عدت إلى البيت تذكرت شعره وعينيه وأنفه وأنا أرسم صورة الشاطر
حسن وهو يطعن الغولية فى صدرها ورسمت فى طرف الورقة شمساً مشرقة
وداراً..

* * *

تحسست رأس البصل البلدى فى جيبى

أغلقوا مدرسة

وفتحوا سجننا

وفى " العلم " قصة تحول طفل فلسطينى طلبت إليه مدرسته أن يأتى بعلم
إسرائيل إلى المدرسة ليرفعه فى عيد تأسيس الدولة وهو يريد العلم وتمنعه أسرته
من الذهاب إلى المدرسة لأنها لاتعرف كيف تشرح له الحكاية الموجهة .. لكنه شأن كل
الأطفال الفلسطينيين يكبر فى الألم .. فبعد مجازر " صبرا " و " شاتيلا " عاد خالد
والفرح يغمر وجهه والحياة تتدفق أمامه ودفتر الرسم فى يده الملائكية.

انظروا!!!

ونظرنا..

علم ذو أربعة ألوان ساطعة مكتوب عليه فوق الرسم بخط تلميذ فى الصف
الأول الابتدائى " من الناصرة الى بيروت .. شعب حى مايموت .. "

تبقى ملاحظتان على هذه المجموعة القصصية الجميلة القوية : الأولى تتعلق
بعدم نقد الراوى لجماعته التى سخرت من فارس أبى يعرب الذى كان يكنى بأمه
ويسمى فارس رتيبة.. إذ يخرج الراوى من جلد الناقد للمجتمع والساخر منه إلى
التمثل والممثل تماماً لأفكاره حين يرى أن فارس رتيبة قد استرد شرفه بازاحة
اسم أمه واستعادة إسم الأب بعد أن أصبح مناضلاً وذلك رغم أن الوعى الجديد
يصارع داخله حين يعبر عن إعجابه باتهام فارس للمختار بأنه زلّة حكومة وفاسد "

جميل جدا أن يتشابه الإنسان على القطوف العالية لكن هذا الوعي الجديد والناقد لا يصل أيضا إلى نقد فكرة اقتران اسم الأم بالمهانة . وهو دليل جديد على أن مسألة المرأة تظل من أعقد وآخر القضايا الكبرى في التحرر الإنساني التي تلقى العناية خاصة من قبل الرجال حتى التقدميين منهم .

أما الملاحظة الثانية فهي تخص تسلل روح المقالة السياسية أحيانا في نسيج بعض النصوص فلا تتيح نموا طبيعيا وحررا للنص بما يسهم في تفعيله فنيا .

الولد الذى قطف الشمس

جلست على خشبة من جذع زيتونة رومية وبدأت أجلى الصحون والفناجين والملاعق بعد أن تناول أهلى طعام الفطور . هذه الجلسة فى صحن الدار جزء من حياتى . نظرت إلى الشمس المشرقة التى تداعب أشعتها التشرينية الدافئة جسمى وابتسمت . وعادت يداى الطريقتان تداعبان صحننا . دندنت بلحن لما رسيل خليفة .

تحسست بىدى المبتلة بالماء فرخى الحمام فى صدرى ونظرت إلى الشمس المشرقة مرة أخرى . لقد قال لى حينما ناولته الزجاجاة: سأقطف الشمس وأضعها فى مزهريتك !! كل شئ طائع لهذا الولد . وأطوع الأشياء له لسانه الذى يختار التعابير الشعرية الرائعة فينقذنى من عالمى القاسى ويفرس فى قلبى حب الحياة . هل يعرف أن المزهريّة الوحيدة فى دارنا بسيطة جدا فقد صنعتها بىدى فى دروس الأشغال المدرسية ولا تعرف إلا الأزهار البرية مثل النرجس وعصا الراعى وشقائق النعمان والطيور؟! الناس فى المخيمات لا يشترون الأزهار ولا يتهادونها فى أعياد ميلادهم أو أعياد زواجهم . لعل والدى نسيا يوم زواجهما . وأنا لأحتفل بعيد ميلادى فهذا ترف لا يحتفل به ولد أو بنت فى المخيم .



متى تكون عندنا دار؟ دار مثل الآخرين؟ مثل الدور التى أشاهدها فى المدينة .
ومثل الدور التى قرأت عنها فى الكتب . لماذا لاتكون لى غرفة خاصة بها سرير
ووسادة وشباك له ستارة أزيحها فى المساء ، وأناجى القمر الفضى؟ لماذا لاتكون
لنا دار فيها مطبخ وحنفية ماء ساخن ومجلى رخامى .. أنظف الصحون والفناجين
وأرتبها عليه!!؟

قال لى : سأقطف الشمس وأضعها فى مزهريتك !

* * *

سألنى : ماذا يعمل أبوك؟

- يبنى لهم البيوت والملاجئ.

- فى كفار سابا أم فى تل أبيب؟

- وفى كريات أربع ، أيضا؟

نظر إلى شعرت بخجل داهمنى .. لماذا تبنى لهم يا أبى البيوت ؟ لقد هدموا
بيت صديقتى نجوى . وبيت حسن الفران . لكنه أنقذنى عندما قال: أبى يزرع لهم
الخضار ويتعهده . ويجنى الثمار لهم أيضا .

* * *

بعد الدروس لعبنا معا . صبياننا وبنات . لعبنا ألعابا متنوعة مفرحة مضحكة
مسلية.

هذا الولد يعرف ماذا يفعل . يعرف كيف يقودنا . ويعرف كيف يكسب ثقتنا
وحبنا.

قال: تعالوا نلعب « عسكر ووطنية » !.

اللعبة جديدة ، لانعرفها ، ولم نسمع بها . ولم يعترض أحد منا .

قسمنا قسمين . فريق العسكر وفريق الوطنية . تزعم فريق الوطنية وقدت
فريق العسكر.

صحت " بأعلى صوتى برطانة: ولاواخذ فى شارع! وزأرت كالسيارة العسكرية .
أسفة. أخرجت فحيحا كسيارة ذات نجمة سداسية.

سرت ولحق بى فريقى . صرنا نغنى . ونطلق رصاصاً وهمياً وبعدئذ هتفت:

يروشلايم!؟

- شلانو.

- بيت ليخم!؟

- شلانو.

- حفرون!؟

- شلانو.

- يريحو!؟

- شلانو.

- لعربيم!؟

- همدبار.

وسقطت الحجارة علينا كزخ المطر . تفرقنا بسرعة اختبأت وراء سور الدار
القريبة . شاهدت زميلنا سامى يحتوى بجدار أحد البيوت . صحت أداعبه .
موشيه إوع! الحجر أعمى .

أجابنى : أنا مش بخاف !!

بدأ سامى الدلوعة يتقن اللعبة. وفجأة صرخ سامى متألماً: رأسى .. رأسى !!
أيقنت أنه أصيب . هرعت إليه . كان الدم يرسم خطوطاً حمراء معوجة على
وجهه . ولما شاهدنى قال: إحنا قلنا نلعب لعبة ، وثابت حولها جد.

* * *

كلما ألتقى بسامى أحياه بالجملة التالية : إحنا قلنا نلعب لعبة ، وثابت حولها

جد!؟

ينظر إلى بعتاب ، فأضحك . وأقول له: خزجك ياعسكر الاحتلال!

فيفضب ويهجم على ليصفعنى ، فأعدو . ويعدو ورائى .

* * *

سألته . متى ؟

أجاب : حين يقتل الشاطر حسن الغولية .

حين عدت إلى البيت تذكرت شعره وعينيه وأنا أرسم صورة الشاطر حسن وهو

يطعن الغولية فى صدرها !!

ورسمت فى طرف الورقة شمساً مشرقة ، وداراً و.. و.. لن أقول لكم .

إحذروا !!

* * *

لو وضعوا رجلك بالفلق ؟

- لن أعترف .

- لو غطسوك بالماء البارد ؟

- لن أعترف .

- لو كوك بالكهرباء ؟

- لن أعترف .

- لو قلعوا رموشك رمشاً رمشاً ؟

- أى .. أى .. لن أعترف !

- لو أدخلوا عصا فى شرجك ؟

- أبداً أبداً لن أعترف .

- لو استعملوا كل وسائل السافاك ؟

- لن أعترف .

- وماذا أيضاً ؟ نسيت . ماذا بقى ؟

ابتسم وقال لى : قولى : والسى . أى . إيه ؟

قلت : والسى . أى . إيه ؟

قال بعزم : لن أعترف .

نظرت إلى الزغب فى ذقنه . تخيلته ملتحياً مثل تشى جيفارا . تمنيت لو أقبله

. رقص قلبى !!

ثابت رجل .

ثابت لن يعترف.

وهذه اللعبة لأحبها فهي حزينة وموحشة.

* * *

وقال بحزم: تتولى عيلة المنطقة « رقم أ » من المسجد حتى بياع الفلافل .
وتتولى سميحة منطقة السوق . ويهتم سامى بشارع الصياغ . يجب أن تمر الأمور
بسرعة . علينا أن نتفادى النقاش . نلتقى فى العاشرة فى ساحة الحارة الفوقا .
احضر طابتك ياسامى !
وانطلقنا .

شعرت أننى كبرت فجأة . أنا سميحة بنت عادل فدائية مناضلة تقاتل جيش
الاحتلال بضباطه وجنوده ودباباته وطائراته وصواريخه لتصنع الفجر. ولولا
التعليمات والإنضباط لقفزت فى الشارع وصرخت ليسقط الاحتلال! وتخيلت العلم
ذا الألوان الأربعة يرتفع عالياً على بناية البريد .. وكدت أسمع طلاب صفى
ينشدون فى الصباح فى ساحة المدرسة: « بلادى .. بلادى .. »

دخلت الحانوت الأول . كان فيه ثلاثة زبائن . الرجل فى عمر والدى . والدى الذى
يبنى لهم البيوت والملاجئ لناكل خبزاً . وجه التاجر أبيض مخمر . شعرات بيضاء
تزين فوديه . ملابسه أنيقة . حذاؤه لامع كشعر رأسه . خرج الزبون الأول . ملابس
صوفية حريزية . رجالية ونسائية ، توكلت على الله . الدين ممنوع والعتب مرفوع
. شعارنا الأمانة ، ابتسمت ، لابد أن ربحه كثير . الزبائن لا يفاصلونه وكلمته
واحدة . خرج الزبون الثانى . نظر إلى وابتسم كأنه يشاهدنى الآن . هل يوحى
منظرى أننى سأشتري فستاناً ثميناً؟ ولماذا لأشتري هذا الفستان؟ مخمل عنابى .
إنه يلائمنى . ثابت ، ياثابت ! لماذا لأشتريه ؟ تشتريه ؟ أنا .. حسنا . حسنا . لماذا
لأقدره ؟

— وماذا تريد العروس ؟

صحوت من أحلامي : اقتربت منه . لفظت الكلمات كأننى أهمس همسا . نظر
إلى . تأملنى بقلق .. ربما بفرح لا .. ثم قال : « نحن قدا الوطن والثورة ! » .
خرجت من الحانوت بسرعة ، ودخلت إلى حانوت جاره . وهمست فى أذنه دون
انتظار وخرجت دون أن أسمع جوابه . ودخلت . وخرجت ودخلت . وخرجت .
وعادت الأقفال إلى الأبواب الحديدية .
وشعرت أننى كبرت عشر سنوات !!

* * *

انتظرناه عند بوابة المدرسة . وصل إلينا وهو يحمل حقيبة مملوءة وزع
البصل علينا . لكل واحد رأس بصل . وهذا لك ياسميحة . رأس بصل بلدى .
العجلات حاضرة . سامى سيحرق الظواير . والرصاص ؟ البركة فى الوادى .
حجارته صلبة ملساء . عين يا ولد زين !! الأعضاء الحساسة العين ومنطقة الأذن .
ومارأيكم بالأنف ؟ لقد أصبت جندياً على أنفه فبدا يدور حول نفسه كالبلبل
بسرعة رهيبة . تذكرت عندئذ معلم الجغرافية الفلكية عندما سأل تحسين عن سبب
دوران الأرض حول نفسها فأجابه : لأنها بلهاء .

الاحتلال أبله . يدور حول نفسه . سيغمى عليه . سيسقط . وستمطر السماء
وتغسل الشوارع ... وتشرق الشمس . ويقطفها ثابت ويضعها فى مزهريتى .
ونبنى داراً فيها مجلى رخامى . وغرفة وسرير وشباك وستارة وقمر فضى .
وخلع قميصه .

يالهذا الولد . رائع . لقد تلفع بالعل ذى الألوان الأربعة .. حله . ارتدى القميص .
سار مرفوع الرأس . صعد السلم . العلم يخفق فوق بناية المدرسة .
سلاماً خذاً !

وتعلقت أفئدتنا به .

وتقدمت سيارة وعليها خمسة جنود .

... عن سميحة عن ثابت عن معلم التاريخ فى مدرسة مخيم الدهيشة الابتدائية
أنه قال : وفى عين جالوت كانت نهاية هولاء..

وكان الحاجز عجلات مشتعلة.

شاهدت مرة أفعى رقطاء فى ساحة دارنا . واختبأت فتش والذى عنها فلم يجدها
. فأحرق عجلا مطاطياً . العجلات المشتعلة تطرد الأفاعى.

وقفت سيارة الجنود . ترجل جنديان ليفتحا الطريق ، انهمرت الحجارة.

شتى يادنا وزيدى!

لعل الرصاص.

اقتحموا الجدار.

رشوا الغاز.

تحسست رأس البصل البلدى فى جيبى .

أغلقوا مدرسة . وفتحوا سجننا.

* * *

حبيبتي . أنا أحبك وأعيش لأجلك . أحرق العجلات المطاطية وأقذف الجنود
بالحجارة لتكونى لى . وحدى . أنا لك وأنت لى .. أراك فى كل شئ . فى نوار اللوز
الأبيض وفى شقائق النعمان الحمراء وفى الشعب المبلل بندى الصباح وفى وجه
راعى الحملان الأسمر .. وفى نجمة الصبح.

- ياسميحة أنت الوطن!

- أنا يا ولد ؟ أتعرف من أنا؟ أبى يبني لهم الملاجئ فى كريات أربع على أرض
الخليل. هل صحيح يا خليل الرحمن أنك أبونا وأبوهم؟ وأنا أحلم بدار لها سقف
باطون وفيها مجلى وحنفية ماء وغرفة وسرير وشباك وبرداية .. وقمر..

ياقمر وجه حبيبى أجمل من وجهك

حبيبى ذكى وأنت غبى

حبيبى شجاع وأنت جبان
حبيبى يقاوم الاحتلال وأنت تنير على الجميع.
حبيبى يرفع العلم ويشعل العجلات ويقذف الجنود بالحجارة ويوزع البصل
البلدى ويقاوم الغاز.

وحبيبى ينام هذه الليلة فى المسكوبية.
يا وطنى أنا أحبك . وثابت يحبك . أراك يا حبيبتى قلباً كبيراً رأسه فى المطة
وقاعدته فى النقب وبه اسمان . يتعانقان .. ثابت وسميحة.
حبنا يا حبيبى ثابت.

ثابت يرفع العلم فى ساحة البلدة . وأمى تزغرد . والصبيان والبناات ينشدون.
لك حبى وفؤادى
لك حبى وفؤادى

* * *

الهاء: هدموا
والدال: داراً
والميم: من مخيم
والالف: الدهيشة.
فماذا فعلتم ؟ ماذا فعلت يامننى وياسميرة وياخديجة وياعطاف ؟ وماذا فعلت
ياأحمد وياسميح وياحنا وياعلى ؟

أبى وأبوك يبنيان لهم البيوت وهم يهدمون بيوتنا.

نحن نزرع الورد لهم وهم يطلقون الرصاص.

وثابت قوى ولن يعترف.

ونحن نكرههم ونكرهكم نكرهكم .

يلعن أمهاتكم.

لقد صرت أعرف كيف أحول الزجاجاة إلى قنبلة حارقة.

الرصااص لايقاوم بالورد.

والدبابة لاتقاوم بالزنبقة.

* * *

جلست على خشبة من جذع زيتونة رومية وشرعت أجلى الصحون والملاعق
والفناجين.

غرد عصفور وداعبت الشمس عنقى.

قال لى : سأقطف الشمس وأضعها فى مزهريتك.

جاءت سيارة عسكرية . هجم جندى على ولفب شعرى فى قبضته وسحبنى إلى
السيارة.

مخربة...

فتح

زانية

وتلقين القنابل المحرقة على السيارات؟

.....

.....

ولمع نور شديد فى الغرفة وبحركة لإرادية مسحت أم سميحة عينيها .
وشاهدت الشمس كأنها برتقالة صفراء تنزل إلى مزهرة ابنتها وتستقر على
بابها.

ملاحظة : معانى الكلمات العبرية:

يروشلايم : القدس شلانون : لنا بيت ليخم : بيت لحم.

حيفرون : الخليل يريحو : اريحا لعرييم : للعرب.

همدبار : الصحراء

دراسة

وعى الحكيم.. من الشباب إلى الشيخوخة

د حسنى محمود



كان قد مضى قرن أو يزيد قليلا على بعثة رفاعة الطهطاوى إلى باريس، عندما ذهب توفيق الحكيم إلى هناك عام ١٩٢٥ لدراسة القانون، وإذا كان شيخ الأزهر، فى حينه، حسن العطار، قد أوصى الطهطاوى بتدوين مشاهداته فى رحلته، وانطباعاته عن آثار الصدمة الحضارية المدهشة، وإذا كان الخديوى توفيق نفسه قد أوصى أحمد شوقى ووجهه فى بعثته عام ١٨٨٧م إلى الاهتمام بالآداب الفرنسية والالتفات إليها، وإذا كان محمد حسين هيكل، فى مطلع العقد الثانى من القرن الماضى من هذا القرن، قد أغرق نفسه فى المناخ الثقافى والأدبى فى باريس، بحيث صرفته آثار الرومانسية إلى إبداع «زينب» - الرواية الفنية الأولى فى الأدب العربى الحديث - فإن توفيق الحكيم، قد آل فى النهاية إلى الانصراف تماما عن التحضير لدرجة الدكتوراة فى القانون، وتحول إلى الاستغراق فى الحياة الأدبية والفنية، بحيث خلق منه هذا التحول الفنان والأديب ذائع الشهرة والصيت، فقد غدا بعد هذه الفترة الزمنية، مع تراكمات النهضة الحديثة فى مصر» ربيب الأدب والفن فى مصر وباريس». وهو كذلك الجامع والمآزج بين عصارة كل من الأدب والفن بمعناها الواسع.. عاش فى باريس حين كانت حركة - الموديرنزم - طاغية على الفن والفكر الغربيين.. ومن هنا كان الحكيم، ليس فقط مجدداً فى الأب والفن، بل كذلك - وفى الوقت نفسه مجدداً فى الفكرة والنظرة الاجتماعية والأخلاق (١)

دون أن يواجهه «رد الفعل العنيف هذا» (لدى طه حسين) لثقافته المدنية.. ولأن الطبقة المتوسطة (التي نشأ فيها ومنها) تكون عادة أحرص على جذورها الاجتماعية من غيرها من الطبقات، لإحساسها بملكية الأرض والمدن.. بل والتاريخ.. وكاد بذلك أن يكون هو الأديب العربى المصرى الوحيد الذى استطاع أن يقيم فى نفسه التوازن بين الشرق والغرب» (٢).

ومن خلال لقائه مع سماء الحضارة الغربية الرفيعة فى باريس، بقراءاته المستفيضة لكثيرين من المفكرين والأدباء الغربيين، وبانفتاحه على المعارض الفنية ومتاحف الآثار ومراكز الموسيقى الكلاسيكية، «فقد اكتشف نفسه أولاً فى باريس»، (و) كانت الرحلة هى المنعطف المهم فى حياته ووجهته هناك أصابته خمى الفن والأدب والقراءة الموسوعية. ومن خلال باريس -كما يحدثنا- «مملكة الروح وعالم الفكر» (٣) واكتشف عالم الفن والفكر أو الحضارة، واكتشف مصر كفكرة حضارية، وتثبت وجدانه عند هذه الفكرة الجمالية (٤)».

ولما كانت قيم النهضة فى هذه المرحلة «هى فى المقام الأول قيم معنوية وأدبية وفكرية، وقيم عقلانية تحررية.. وهى قيم مشبعة بالفكر الحديث بضرورة الاتصال بثقافة الغرب، فقد تحتم انتقال توفيق الحكيم، تحت تأثير هذا اللقاء من «جو المسائل القومية» (*) إلى المسائل الإنسانية، وإلى الإنسانية.. وإلى الإنسان فى أفكاره الثابتة فى كل زمان (٥). ومن هنا طغى اهتمامه بمصير الإنسان الحر، وبمقاومة ما يخيفه من الظلم الزاحف على الإنسانية، خصوصاً وقد أحس، وهو يرى بألم عينيه مآسى الحرب العالمية وأهوالها، بما خلفته، وبما يمكن أن تخلفه من مظاهر (الدمار الحضارى) للإنسان

* لا بد أنه يقصد هنا الروح الوطنية لأن فكرة «القومية» لم تكن عرفت ولم يشع مفهومها بين الناس يومذاك.

١- أحمد عبد الرحيم مصطفى، انظر توفيق الحكيم، الجيل والطبقة والنويا -غالى شكرى- سلسلة مواجهات نقدية، دار الفارابى -بيروت، ١٩٩٣: ١٠٨.

٢- صلاح عبد الصبور، انظر المرجع السابق: ١٠٨-١٠٩، دون أن يذكر مصدره فى الحالى.

٣- توفيق الحكيم -تحت المصباح الأخضر- مكتبة الآداب ومطبعتها -القاهرة- ١٩٨١ (الطبعة الأولى ١٩٤٢)

٤٦-٤٨.

٤- ناجى نجيب -توفيق الحكيم وأسطورة الحضارة- دار الهلال، القاهرة -١٩٨٧: ٥٣.

٥- م. ن ٦. عن توفيق الحكيم -مسرح المجتمع- المقدمة ٤/٣.

مما عمق إيمانه بالتقدم الإنساني وأثار قلقه على مصير الحضارة إثر طغيان القوى الأرضية في بعض رجال الروح والفكر.

ويفسر توفيق الحكيم نفسه جنوحه إلى هذا التسامى، وميله إلى قضايا الفكر، فيذكر (تلك النزعة العقلية التي ورثها عن والده) (٦). وربما كان الأصح أن نرجع هذا الجنوح أو أصول هذا الجنوح إلى بنية النشأة الأولى عامة. (فالإلى جانب الأب نجد الأم بتسلطها وتعاليتها ونفورها من البيئة المصرية) (٧). ويزيد معاصره إبراهيم ناجي توضيح ذلك بقوله «لم يفلح أبواه - أمه التركية وأبوه المصري الفلاح - في جذبته إلى الخارج ولا إلى طريق من الطرق، وأخذ هو بنفسه ينكمش حتى خلق لنفسه دائرة خاصة به هي الدائرة التي تتجلى فيها له كطفل إرادة القوة، وتلك الدائرة هي دائرة خيالاته وأحلامه وصوره التي يبتكرها ابتكاراً. تلك دنياه الخاصة التي تعوضه عما فقده من عدم اتصاله بالمجتمع.. ومن هذا يتضح معنى الغيبوبة، معنى الذهول الذي يستغرق توفيق الحكيم - سيطرة عالم الخيال والهواجس الباطنة على الرجل فيه كما كان مسيطراً عليه طفلاً (٨).

ويحلو للحكيم أن يسمى نفسه (راهب الفكر) الذي تزوج الفن زواجاً كاثوليكيًا (٩)، وأنه (مفكر) مختلف في شئ أساسي هو الشمولية. «هذا هو اللقب الذي أجب أن يطلقوه على أو ينادوني به» (١٠). فهو كما يقول ليس مفكراً محترفاً، بمعنى أن كتبى لا تعالج كلها مواضيع فكرية بحثية، كلا. إننى مفكر بمعنى آخر، أى بكل بساطة، إننى رجل يفكر مثل أى رجل يأكل أو يجرى، والفكر عندي ممارسة يومية، فلا بد أن أمحص كل ما يجرى أمامى أو يدور حولى وأناقشه وأحلله» (١١).

ويتفق إسماعيل أدهم مع إبراهيم ناجي على تأكيد اعتراف الحكيم بهذه النزعة لديه، يقول إسماعيل أدهم (عام ١٩٢٨) من الأهمية بمكان أن ينظر إلى تصرفات الفتى فى تلك الفترة (فترة ثورة ١٩١٩)، فإننا نجده فى سلوكه نازعاً منزع تخيل وتجريد

٦، ٧ - توفيق الحكيم - سجن العمر - مكتبة الآداب ومطبعتها - ١٩٨٨: ٢٠١، ٥٠.

٨ - غالى شكرى - المرجع السابق: ١٠٤.

٩ - غالى شكرى - ثورة المعتزل - دراسة فى أدب وتوفيق الحكيم - مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٦٦: ٨١.

١٠ - غالى شكرى - توفيق الحكيم .. الجيل والطبقة والرؤيا: ٧٧.

١١ - سم. ن: ٧٧، ٧٨.

رافقه إليها طبيعته الحسية التي أخذت بأسباب التخيل نتيجة انسحابه لحدود نفسه. وهذا المنزع جعله يأخذ العالم مأخذاً تجريبياً، ويرجع بالظاهر المحسوس إلى الخفى وراء المحسوس « (١٢) ». ويقول غالى شكرى « حقيقة موضوعية فى تفكير الحكيم وفنه، هى أن تجربته مع الحياة هى تجربة الذهن.. ولعل التجربة الذهنية وحدها هى منشأ ميله إلى الفن المركز.. ومنشأ ميله إلى التفكير الرياضى سواء فى الفلسفة أو المعمار أو الموسيقى. ولعل تجربة الذهن أخيراً هى منشأ إلى (التعميم) فى الحكم على طبائع الأشياء أو حركة تفاصيلها.. فالبرج العاجى حقيقة أساسية فى حياة الحكيم، لأنها بمثابة المظهر الخارجى لتجربة الذهن. أما رهينة الفكر فهى العمود الفقرى لتجربة الذهن التى يعايشها الفنان بالتجرد الكامل من كافة المغريات الطارئة، والنزوات العابرة، والملاذ السهلة المباشرة (١٣) ».

ومن أبرز المظاهر الفنية لاستكمال هذا الجنوح لديه إلى التوحد والانعزال، والميل إلى الاستغراق فى التفكير العقلى ما يبدو عليه الحكيم من ميل فطرى إلى كتابة الدراما والمسرح، يقول إنه كان كاتباً متخصصاً لفضل كتابة المسرحية على سواها من الفنون الأدبية. لماذا؟ « لأن المسرحية حوار بين شخصين أو أكثر، وأنا دوماً لا أحبذ رأى الواحد. كما أننى أتعب عندما تجعلنى أتكلم لوحدى (كذا). وفى المسرحية أشخاص آخرون يتكلمون معى.. وهكذا فإن توزيع (الفكرة) يتفق مع طبعى، كما أن (الحوار) يلتقى مع تفكيرى. فى الحياة (١٤) ». فهو فى تمحيصه آراءه وأفكاره يرغب فى أن يعرضها على آخر وأن يمتحنها مع آخرين يريد أن ينفرد بهم، وأن شاركوه عزلته فى التفكير والتخيل ومع العقل. ومعروف أن الحكيم من أكثر الأدباء، إن لم يكن أكثرهم إجادة فى استخدام وسائل الفن المختلفة لعرض أفكاره وخدمة موضوعاته السياسية وغير السياسية، فقد ظل على اعتقاده بأن الفن هو أقدر وسائله التعبيرية على مواكبة ركب الحياة، بكل تقلباتها، فى خط سيره إلى الأمام. وبوسع المرء أن يقول « إن الفن كان دائماً العنصر الجوهرى فى حياة الحكيم بأسرها، فلا يعرف أحد فى حياة هذا الكاتب عاطفة جامحة، أو عملاً سياسياً خارج نطاق الفن.. فهو يستطلع خلال عدسة

١٢ - أنظر المرجع السابق: ١٠٢.

١٣ ثورة المعتزل: ٨٢-٨٣.

١٤ - أنظر غالى شكرى - توفيق الحكيم.. الجيل والطبقة والرؤيا: ٧٦.

الفن وحدها كل جواهر الدنيا التي كان يراها في الواقع بكل أدائها الاجتماعية وديمقراطيتها الزائفة.. إنه يعيش الأحداث خلال فنه، فأسهم في الجهاد السياسي والاجتماعي، متكلماً بالسنة شخصيات تصيح من وراء قناع الفن الجسم، كما كان يحدث أيام الإغريق، وهي طريقة تضخم صوت الإنسان - كما هو معروف - كي يصل إلى أسمع الحشد الذي لا حصر له (١٥).



وقبل أن نتناول هذا الجانب من رؤية الحكيم وفكره السياسي يحسن بنا أن نتبين مكانة الفكر، وعلاقة رجاله برجال السياسة لديه، وكيف انعكس ذلك كله على مفهومه لفكرة التزام الأديب ورسالة الأدب في الحياة.

يمثل الحكيم من هذه الناحية النموذج المثالي على رجل الفكر والأدب، وفهمه غاية الأدب ورسالة الأديب في الحياة.. وقد انعكس مفهومه هذا على حياة الأديب لديه إلى حد أصبح يشكل فلسفة حياتية، تحكم تفكيره، وتوجه مواقفه وتصرفاته، فهو يعلن «إني لا أقدر شيئاً، ولا أحترم أحداً، ولا أنظر بعين الجد إلا إلى أمر واحد: الفكر. هذا النور اللامع في قمة هرم ذي أركان أربعة: الجمال والخير والحق والحرية. هذا الهرم هو وحدة الشئ الثابت في وجودي» (١٦) ويكبر لديه الشعور بكونه أديباً مفكراً تتصل مهمته بهذه القيم المعنوية العليا للحياة البشرية التي لا يؤتمن عليها في المجتمعات الراقية غير رجال الفكر الأحرار. ومن هنا، فهو يرى عمل القلم ومكانته أعلى من كل جاه، وأن لاجاه سواه. «لا أحب أن أكون من ذوي الجاه.. كل ما عندي قلم لا أرضى أن أسخره في هدم الأشخاص لمجرد الهدم، ولا أن أستخدمه في بناء أشخاص طمعاً في الغنى.. إنما هو خادم بالمجان لأي فكرة كبيرة أدافع عنها.. تلك هي مهمتي وكل مطلبي، والباقي لا وزن له عندي» (١٧).

وفي سبيل السمو بمهمة القلم واستقلال الأديب يرى الحكيم أنه يجب أن يكون حراً لأن الأديب إذا باع رأيه، أو قيد وجدانه، ذهب عنه في الحال صفة الأديب، فالحرية هي

١٥- أ. بابا دوبرلو-مقالة: توفيق الحكيم وعمله الأدبي -انظر ملحق السلطان الحائر: ٢٢٧-٢٢٨، ٢١٦-٦

١٦- حمار الحكيم، مكتبة الآداب ومطبعتها - ١٩٤٠: ١١٦.

١٧- حماري ومؤتمر الصلح -الهيئة المصرية العامة للكتاب- مكتبة توفيق الحكيم الشعبية - د. ت: ٦١-٦٢.

تبع الفن .. وبغير الحرية لا يكون أدب ولا فن» (١٨). ولذلك فهو يصور على احتفاظ سلطة الفكر بحريتها واستقلالها تجاه سلطة السياسة والعمل. وقد طبق هذا المبدأ على شخصه تطبيقاً صارماً ، يقول .. «فابتعدت عن محيط السياسة العملية، ورفضت الانضمام إلى الأحزاب السياسية ، واعتبرت الفكر كالراهب ، مسرحه هو حريته .. حتى لا يستخدم آلة مسخرة في أيدي رجالها ، فيفقد بذلك حرية النظر إلى الأشياء .. إن المفكر الذى يترك مكانه لينضوى تحت لواء سلطة العمل الممثلة فى حزب أو حكم هو مفكر هارب من رسالته .. وإن هذا الهروب إلى معسكر الساسة والحاكمين هو الذى جرد الفكر من سلطانه وجعل منه تابعاً لا متبوعاً ولم يخطر فى بالى قط أن أعزل الفكر عن أى نشاط سياسى أو اجتماعى .. فالعزلة التى دعوت إليها هى العزلة عن السياسيين لا عن السياسة ، وعن الأحزاب لا عن المجتمع» (١٩) ومن أجل ضمان هذه الحرية التى تغيا بها تمكين النوع البشرى من الاستمرار والرقى ، فهو يتخذها عقيدة أساسية يؤمن بها ، يقول «.. إنى أعلن هذه العقيدة ولى الشرف العظيم أن أموت يوماً من أجلها ، وأن أغرق معها إذا غرقت ، فلا خير فى صاحب فكرة أو عقيدة لا يموت بموتها» (٢٠). وهكذا يطلق الحكيم هذه الصيحة قلقاً على مصير الفكر المطلق الذى يرى أن لا كرامة للفرد والإنسان إلا فى ظل الديمقراطية والحرية ، وأنه إذا ذهبت الحرية ، فأجدر بالحر أن يموت. وإنطلاقاً من هذا المفهوم ، «فما من حدث استوجب تحرك القلم إلا حرك قلمي .. وما من أمر هز البشرية إلا هز نفسي ، بل ما من قضية من قضايا الحياة الكبرى التى تمس الإنسان وتطوره وتقدمه إلا شغلتنى ودفعتنى إلى الجهر بالرأى حتى فى النظم السياسية والاقتصادية والاجتماعية .. دون التفات إلى عواقب الرأى الحر ، والنقد المر» (٢١). حتى الديمقراطية ، بمعناها السياسى ، أى باعتبارها نظاماً سياسياً أو حزبياً ، لا يقبل الانتماء إليها ، لأن الحرية الفكرية والروحية ، التى هى مسرح الفكر الحر الحقيقى ، تمنع من الانخراط فى سلك حزب أو نظام قد يضطر إلى الدفاع عنه بالحق أو

١٨ التعادلية مع السلام والتعادلية - مكتبة الآداب ومطبعتها - طبعة ١٩٨٣ : ١١٨. بنقله هو نفسه عن

كتابه «فن الأدب»

١٩- م. ن ١٢٢-١٢٣.

٢٠ سلطان الظلام - مكتبة الآداب ومطبعتها ، ١٩٤١ : ٣٩-٤٠.

٢١- من البرج العاجى - مكتبة الآداب ومطبعتها - القاهرة - ١٩٨١ ، الطبعة الأولى سنة ١٩٤١ : ٢٦.

بالباطل . فهو لا يستطيع الدفاع مطلقاً عما يعتقد أنه الباطل، كما لا يستطيع أن يخدم شيئاً غير ما يعتقد أنه الحق . ويذهب في هذا المنحى حداً يرى فيه أن الكاتب الحر يستطيع أن ينشئ للإنسانية نظاماً وعوالم مثالية، وأن يرسل في الأجيال أفكاراً ومبادئ تصلح أساساً لمذاهب عملية في السياسة والاجتماع، ولكنه لن يكون مسئولاً عن كيفية استخدام أفكاره ، ولا عن الأشخاص الذين وضعوها موضع التنفيذ » (٢٢) ، حيث يجب أن يبتعد عن رجال الحكم والسلطان ، خوفاً من الخضوع لهم وخشية من إذلالهم ، وأن يصبح آلة مسخرة في أيديهم . وعندها يكون الفكر قد غير صفته ، وسيضطّر المفكر صاغراً ، إلى التماس العون لدى العمل . والفكر المستقل يؤثر إلى مدى بعيد في العمل ، أبعد بكثير من أثر الفكر المندمج فيه أو الخاضع له .

ولا يرى الحكيم في رجال الفكر قوة رجال الدين بنفوذهم الروحي . ثم إن أبرز دواعي ضعف رجال الفكر تتمثل في تفككهم ، ولذلك ، فهو يقترح عليهم التكتاف والتآزر ، لتكون لهم قوة تعادل قوة الحكام الذين يخشون دائماً ما يمكن أن يوجهه إليهم رجال الفكر من نقد وتوجيه ، فليجأون ، في أحيان كثيرة ، إلى إسكاتهم بالاستدراج إلى حظيرة السياسة العملية ، فيلغى بذلك وجودهم ، لأنك إذا أدمجت الفكر في العمل لم يعد فكراً . فواجب رجل الفكر أن يحافظ على كيان الفكر ، وأن يصون وجوده الذاتي حراً مستقلاً (٢٣) .

وهذه السياسة التي فرضها الحكيم على نفسه بكل حزم وإصرار ، إلى حد الغلو والإغراق ، جعلته يعاني في حياته معاناة شديدة ، دون أن يلقي أى سند من حزب أو حماية من أحد . يقول « فالتنى في دنيائى حتى اليوم لذة لم أذقها قط .. تلك هى لذة من ينقد ويرمى وظهره مسند إلى حائط حزب .. كما فعل (العقاد) وهو نائب في البرلمان الوفدى ، وصاح نحن مستعدون لتحطيم أكبر رأس في البلد يعتدى على الدستور : كنت ذلك الذى يصيب فلا يبسم له أحد ، ويصاب فلا يأسف له أحد ! نقدت عيوب « النظام البرلمانى » عام ١٩٢٨ ، وكنت يومئذ موظفاً في الحكومة . فعاقبوني عقاب اللص المختلس .. إن من حقى الكلام في هذه الشئون ، إن لم يكن بصفتى كاتباً ، فباعتبارى مواطناً (٢٤) »

٢٢- انظر ، شجرة الحكم السياسى في مصر ١٩١٩-١٩٧٩ : ٢٢٦-٢٢٨ .

٢٣- انظر التعادلية .. ٨٩-٩٢ .

٢٤- شجرة الحكيم السياسى : ٢٥-٢٦ . من مقدمة « شجرة الحكم » ، طبعة ١٩٤٥ .

وبرغم ذلك، فهو يرى أن أروع الكفاح هو كفاح النفس في سبيل احتمالها الضربات في صبر وابتسام. «لقد أصابني ما يدمي من سهام الأقلام.. ولكنني كنت أقول في نفسي-إني إذن حي، فالكاتب الحي هو الذي ينهش كاللحم الحي، لأن الجيف لا تطعن ولا تنهش. وما دمت حياً، فلا شئ في الأرض يمنعني من الركض على جواد الكفاح! (٢٥).

وإذا بدا الحكيم بهذا الفكر السياسي منظراً مثالياً، وأديباً ملتزماً غاية الالتزام، فهل يصلح مثل هذا السمو في تنظير الفكر السياسي نموذجاً في التعامل في مثل أوضاعنا السياسية في عقد الأربعينيات، أو حتى في أيامنا هذه؟ لعل الحكيم أن يكون على قدر من الصواب في موقفه وفي رؤيته، ولعله كان يمكن أن يكون ذا تأثير أقوى وأكثر فاعلية لو أنه استند في مواقفه ونضاله، إلى جهة يطمئن إليها ويتعاون معها!!.



دخل توفيق الحكيم إلى ميدان الفكر والتنظير السياسي من أوسع الأبواب وأكثرها أهمية وقبولاً: باب الوطنية وما يتصل بها من «الفكرة المصرية»، وباب الإيمان بالديمقراطية الليبرالية الحققة، وباب الإخلاص إلى حد الإيمان بالمثل والقيم الإنسانية الرفيعة. وقد دخل من كل هذه الأبواب، بروح الأديب الملتزم، عبر أبهاء الأدب، حيث توصل إلى عرض هذه الرؤى والأفكار من خلال بعض ضروب الأدب والفن، حيث تتجلى مواهبه العالية المميزة. ومن هنا تنوعت موضوعات اهتمامه في هذا المجال، فمن

الديمقراطية الليبرالية والحرية، إلى مشكلة السلطة والحكم، وحرية الفرد والمجتمع، والعلاقة مع السلطة والحاكم، والعلاقة بين رجل الفكر ورجل السياسة، والحزبية والفساد السياسى والاجتماعى، ومستقبل الإنسان وحاضره، ومثل الحياة الإنسانية وقيمها الرفيعة، والتناقض بين السلام والاستسلام، وبين الغاية والوسيلة، ورسالة الأديب وقضية الالتزام فى الأدب، إلى آخر مثل هذه الموضوعات، ومتعلقاتها الإنسانية.

ويبدو أن توفيق الحكيم بفطرته، يتحلى بمثل هذه النوازع النفسية والإنسانية. وقد تبلورت هذه النوازع لديه فى ظروف حياته الأسرية، وبتأثيرات حياة الفلاحين التى عاشها واستغرق كثيرا من مظاهرها فى الريف المصرى أثناء عمله نائبا عاما فى هذه الأرياف. وقد عمقها ونماها لديه ما ظل يحسه من تناقض حاد ومفجع بين حياة التخلف فى وطنه، وبين حياة الحرية والديمقراطية التى خبرها فى أثناء إقامته فى باريس، من نحو، وما تشبع به عقليا ونفسيا من خلال قراءاته ومطالعته فى الآداب ومظاهر الحضارة عند الغربيين، من نحو آخر. وقد لقيت كل هذه المؤثرات وسواها نفسا حساسة وتربة صالحة لتربية هذه المشاعر والعواطف الإنسانية، أمان على ظهورها والتعبير عنها مواهبه الأدبية والفنية الأصيلة التى راح بها يجسد هذه النوازع والمفاهيم والدعوات بكل صدق ومثابرة وإخلاص، خصوصا وهو يرى وطنه مهدداً بالخراب والتدمير على أيدي الاستعمار المحتل من ناحية، وعلى أيدي قوى الإقطاع والتخلف، بما يعتورها من فساد وأنانيات وصراع، من ناحية أخرى.

فى أواخر العقد الثانى من القرن الماضى كان توفيق الحكيم يستدير عن شرفته ليخطو على عتبة العقد الثالث من عمره، فتى يتفتح للحياة إبان اشتعال الشارع المصرى بالثورة على المحتلين. وقد قدر له (محسن - اسمه الأدبى فى عودة الروح) أن تكتوى أصابعه بنار هذه الثورة الوطنية، وأن يترسخ فى عقله وفى أعماق نفسه شعار الثورة «مصر للمصريين»، فكرة الوطنية التى آمن بها يومئذ زعماء مصر وكبار رجالاتها من المفكرين والزعماء الوطنيين وانسجاما مع طبيعة الفتى/الأديب، راهب الفكر/المعتزل، على وعد التجربة الذهنية الفاعلة، كما تجسد حياته بعدئذ، راح يبلور هذه الفكرة ويعمقها فى نفسه، ويكسوها لحمها الحى، فيتمثلها عجينة حضارة إنسانية أصيلة تشع فيها ومنها الحياة باستمرار، ولا يمكن لها أن تموت، وقد تغلغلت روح الأدب والفن لديه، وملاّت نفسه حقيقتها الإنسانية مجسدة فى روح أسطورتها أزوريس تنادى الحارس، ابن مصر النموذج - حوريس: انهض، انهض أيها الوطن! إن لك قلبك

قلبك الحقيقي دائماً.. قلبك الماضي، وهو يرد عليها من الأعماق : إني حي! .. إني حي...! .
فهم الحكيم فكرة تفاعل الحضارات وتمثلها وتواصلها، وعلى هذا الأساس فهم الفكرة
المصرية من خلال روح مصر التي انتبشت من تمازج التاريخ والتمثل الحضارى الذى
تجسد بتعاقب الحضارات الفرعونية والقبطية والإسلامية. ومن هذا المنطلق العقلى /
الوجدانى ظل محكوماً بشعار واحد أسماه « مصلحة مصر » ، وظل ،على أساسه ، يضع
معيار حكمه على نجاح الحاكم أو المواطن ووطنيتهما ،من خلال قوله « إن الحاكم الناجح
الذى أراد لمصر الخير والنجاح ، وبدأ مهمته بسؤال : ماذا أريد لمصر ؟ أما الذين لم
يهدفوا إلى خيرها ،فقد كان سؤالهم هو: ماذا يريدون من مصر ؟ وفرق كبير بين الذى
يريد لمصر وبين الذى يريد من مصر ، سواء كان على مستوى الحاكم أم حتى
المواطن (٢٦).

وسواء عددنا مثل هذا الرأى مجرد موقف وطنى أم موقف سياسى ،فإنه قياسا على
رأى الكاتب السويسرى (كيلير) ، يؤول فى النهاية إلى سياسة(*) . وانطلاقا من هذا
الفكر السياسى المفعم بالوعى والصدق فى حب مصر ، فإننا نرى الحكيم ،وقد تضجبت
شخصيته ،واستحصدت مواهبه الأدبية وثقافته وخبراته الحياتية ،يستغرق منذ قبيل
الحرب العالمية الثانية، ومنذ ١٩٢٧/١٩٣٨ بالتحديد ،فى الكتابة السياسية والاجتماعية
،فيشغل نفسه بمعالجة كثير من هذه المظاهر والقضايا فى حياة مصر. وعلى مدى عقد
كامل حتى عام ١٩٤٨ ،حيث تعد هذه الفترة من أكثر الفترات حرجاً فى تاريخ مصر
الجديث ،ينشر كثيراً من المقالات والكتابات والمساجلات يتناول فيها « هiestريا
السياسة » فى مصر ،فيجسد إفسادها الهدوء والتفكير ويصور ارتفاع ضداها إلى
أبراج الأدباء والمفكرين العاجية ،ويرى أنه « إذا وصل بخار السياسة إلى تلك القمم
البارزة فى أمة من الأمم ،فأنذر إذن بالويل ،وتنبأ بأن رأس الأمة لقد لعب به الداء! فما
رأس الأمة فى حقيقة الأمر إلا مفكروها المجدون! (٢٧) » ثم يهاجم النظام الديمقراطى
المزيف ،كما رآه ،فى مصر تحت عنوان « جموح الديمقراطية » ،وينتقد بنحدة وعنف

(*) يتحدث صلاح فضل عن نماذج الموضوع الاجتماعى والموضوع السياسى فى الحياة الواقعية، وتفاعلها
تفاعلا عضويا ،فيقول إنه إذا كانت « الصبغة التاريخية تعتبر من معالم الواقعية المميزة، فإنه يتصل
بالطابع التاريخى للواقعية صبغتها السياسية الأصلية بالمفهوم الذى كان يلح إليه الكاتب السويسرى
(كيلير) عندما قال - كل شئ سياسية ،

٢٦- أنظر صلاح منتصر- توفيق الحكيم فى شهادته الأخيرة- مركز الأهرام للدراسات والنشر (١٩٨٧هـ)،

سياسات الأحزاب والشخصيات السياسية وسلطات الحكم فى اشتغالهم جميعا وتلهيهم بالقول دون العمل، وبفساد دولا ب الإدارة وعملها دون برامج وتخطيط وينتقد صراع الأحقاد بين الأفراد والأحزاب، ويبدى فى هذا المجال كثيرا من الآراء الوطنية السديدة. فالديمقراطية فى رأيه « ليست كلمة تقال فى الخطب، لأنها جميلة ذات رنين. ولاهى بناء شامخ يسمونه (البرلمان)، لكن الديمقراطية هى روح المساواة والإخاء وحرية الفكر المكفولة للجميع!.. كل طعنة تصيب كتلة الوطن فتحللها إلى عناصر أو طوائف، إنما هى طعنة مسمومة تصل مباشرة إلى قلب الأمة وصميم الديمقراطية» (٢٨).

وقد شكلت مشكلة الحكم لدى الحكيم أهم المحاور التى دارت حولها كتاباته وأدبه بشكل عام، ومسرحه بشكل خاص. ومثل فيها مثال الفكر الليبرالى الذى يتصور ملكوت الحرية فى النظام الديمقراطى الغربى. ومن هنا صب نقمته على الانتخابات كما كانت تجرى فى مصر. فكتب عن «نعيم الانتخابات» إذ لم ير فيها أى مظهر من مظاهر الديمقراطية، فهى تجرى بروح ما يدعو (شركة مقاولات الانتخابات)، ويسمى مناصب رجال السلطة والحكم (خيول المناصب الحكومية الخشبية)، ويرى أن الأحزاب تقام وتنشأ بصيغات شخصية متشابهة من أحل مصالح طبقة الملاك والاقطاعيين. وقد جمع هذه المقالات مع مقالات أخرى كثيرة فى موضوعات متنوعة فى الدين، وفى الأدب والفن والثقافة، وفى المرأة والمجتمع فى كتاب «تحت شمس الفكر» (٢٩) ونشره عام ١٩٢٨.

وهو يعيب نظام الانتخابات كما كان معمولاً به فى مصر يومئذ، وينقل على لسان (هتلر) فى إحدى خطبه قوله: «قد يكون من الأيسر أن نأمل فى رؤية جمل يمر من ثقب إبره، على أن نأمل فى رؤية رجل عظيم يكتشف عن طريق انتخاب الجماهير!» ويعلق على لسان (صاحب المعالى) «هذا.. قول يجوز فى ألمانيا وأوروبا، أما فى مصر، فمن قال إن الشعب أو الجماهير تنتخب أحداً؟» (٣٠). وتبلغ سخريته حداً محرجاً غاية الحرج، وهو يتحدث عما يسميه «زفة الانتخابات»، إذ يقول «فمنافسك الخطير يمكن رقناعه بالمال لينزل لك عن الدائرة، لأن مبدأ «خلو الرجل» المعمول به اليوم فى أزمة المساكن معمول به أيضاً فى سوق المقاعد (مضاربة الخصم). وهكذا الديمقراطية كما نراها فى مصر» (٣١).

٢٧- تحت شمس الفكر مكتبة الآداب ومطبعتها - القاهرة - د. ت. (الطبعة الأولى سنة ١٩٢٨) ١٤٤، من

مساجلاته مع منصور فهمى عام ١٩٢٧. ٢٨- شجرة الحكم السياسى ١٢٦، ١٢٥.

٢٩- انظر صفحاته ١٥٩، ١٦١. ومقالة الأحزاب والشعب، ١٦٩. ٣٠- شجرة الحكم السياسى ٤٤-٤٥، ٤٦.

٣١- م. ن. ٢٠٣-٢٠٤، مؤرخة فى ١٢ يناير ١٩٤٥.

ويصور الحكومة في مصر يومئذ تقوم على النظام البرلماني المزيف، إذ تركز على قوتين البرلمان، للأستواء على الكراسي، (والطلبة) للاستقرار الهادئ في الكراسي! وكلية لا يكتسب إلا بوعود (ومنح) إن أعطيت فعلاً، فقد حلت الفوضى وفسدت الأخلاق، وإن لم تعط، فلا حكم ولا اطمئنان على حكم (٣٢).

وفي نقده بعض أدواء المجتمع المؤثرة في الحياة السياسية، يذكر تفشي المادية والوصولية في جسم الأمة، والغلو والإغراق في التنايد والتحاسد والخصومات إلى حد تحطيم الطرف الآخر على حساب الأمة والوطن. وفي رأيه أن الاقتصاد في العصر الحديث هو (دين العصر) الرابض وراء الجميع، وهو العدو الأكبر. وعلى هذا الأساس يرى أن السياسة في حقيقتها ليست للحكم أو للسياسة في ذاتها، وإنما السياسة للاقتصاد (٣٣). ولذا، فإن الاشتراكية «هي جوهر لابد أن يدخل في تركيب كل نظام سياسي حديث.. وما أيسر على الديمقراطيات إنشاء (الديمقراطية الاشتراكية) (٣٤).

ويشير في بعض كتاباته إلى إصلاح أوضاع الحكم على أساس تربوي متكامل يعتمد فيه على دور البيت والمدرسة في الإعداد والاستعداد، ووجوب تلقين الشباب المثل العليا والمبادئ الخلقية السليمة، ويرى أنه على الشباب تقع مسئولية وإحداث الثورة المباركة التي تقيم الوطن على أقدام من الصحة والقوة والنظام. ويهدف من وراء ذلك كله إلى أن يصبح الحكم للشعب لمصلحة نفسه، لا أن تتحكم طائفة أو طبقة منه لمصلحتها أو لمصلحة جماعة.. ويقول على لسان الفيلسوف مخاطباً الشعب «..أحكم أنت!.. أنت كلك في جسم واحد وزوج واحد.. الواحد للكل.. والكل للواحد.. احكم نفسك بنفسك أيها الشعب! لمصلحة نفسك (٣٥).

وهذا الإصلاح التربوي، يشبه في حال نجاحه، أن يكون تنظيفاً وغسلاً لعقل الأمة، يستدعي تغييرات كثيرة في أنظمة الإعلام والتعليم، أشبه ما يكون بالثورة الثقافية (٣٦). وهو يقدر أن العقل المصري كان يستطيع، في ظل تقاليد ديمقراطية، أن

٣٢- م. ن. ٩٢.

٣٣- انظر م. ن. ٤٩١ - من كتابه تأملات في السياسة.

٣٤- م. ن. ٤٩١ - من كتابه تأملات في السياسة.

٣٥- م. ن. ٢٣١-٢٣٢ مارس ١٩٤١. وهل أدرك بعد إلى أي حد أسس تطبيق الاشتراكية في كثير من دول

العالم؟

٣٦- براكسا أو مشكلة الحكم - ١٩٣٩: ١٦٥.

يعطى أكثر بكثير مما أعطى. وفى رسالة له إلى أحمد الصاوى محمد عام ١٩٣٧ يرى أنه نتج عن فوضى حياة المصريين وأوليئها وسديميتها أنه « لم تتكون فيها عوالم منظمة متألقة يعيش فيها الناس .. (فلا يوجد فى مصر) «عالم الأدب» و«عالم الرياضة» ، «وعالم الفن» و«عالم السياسية».. إلخ بالمعنى المفهوم لهذه العوالم فى أوروبا (٣٧)

وربما كانت هذه الدعوة سليمة فى ذاتها وفى ظروف مناسبة ، ولكن وعى الحكيم يقصر به عن إدراك الهدف عندما يدعو الناس ، كلاً فى مجال اهتمامه إلى الاهتمام بهذه العوالم ، وترك السياسة للسياسيين ، لأنه يغفل هنا ، حقيقة السياسة وفساد السياسيين ، وما لابد أن يترتب على ذلك من خراب الوطن ودماره ، إذا لم يبد الشعب الاهتمام الكافى بالسياسة إلى جانب اهتماماته الأخرى فى شئون الحياة المختلفة.

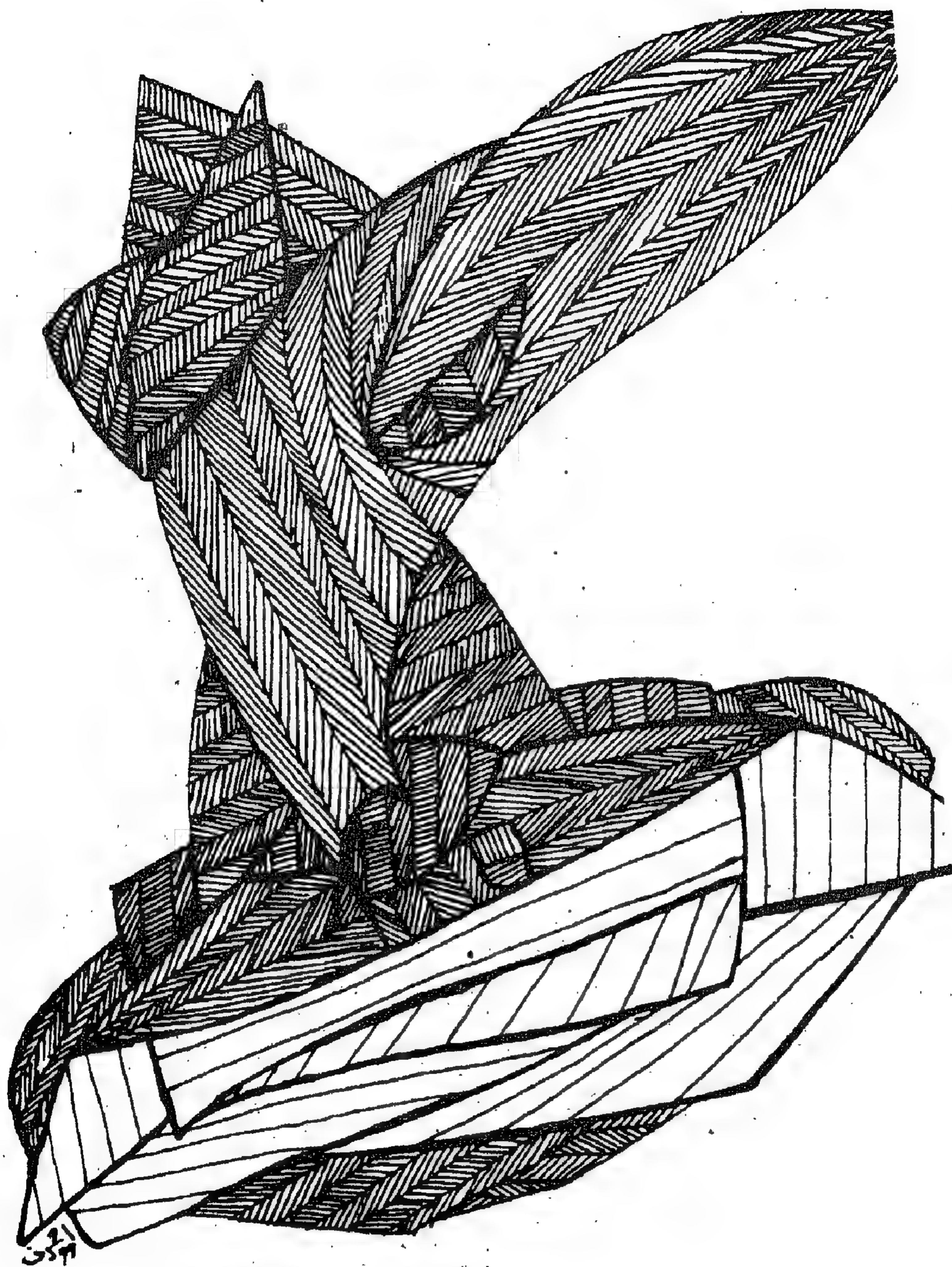
وقد يكون صحيحاً قول غالى شكرى إن «توفيق الحكيم حاول ترميم البناء الفكرى للبرجوازية من فضلات ثورتها القديمة، حين كانت الدعوة المصرية تجسيدا أميناً لإحدى مراحل الثورة فى تاريخنا الحديث، ولهذا السبب جاء كتابه (التعادلية) أقرب ما يكون إلى النداء الأخير للروح الثورية القديمة للطبقة المتوسطة، حتى تستطيع أن تواكب الركب الصاعد إلى الاشتراكية .. والحكيم، هو أحد أبناء الثورة الوطنية، ولكنه أيضاً لم ينتكس مع انتكاسة رواد جيل الثورة. وأصبح كما يقول لويس عوض رمزاً للجسر القائم بين ثورتين أو ازدهارين عظيمين .. وهو لكى يكون جسراً عظيماً ، لابد من أن يتفادى أسباب النكسة التى أطاحت بالعمالقة عن صدارة الركب الثورى المتقدم. ومن هنا تتسم محاولاته الفكرية أول ما تتسم بالاجتهاد الشديد والعرق الغزير الذى يتصبب بارداً على جبين راهب الفكر (٣٨).

« قبل الحرب العالمية الثانية .. وقبل اجتياح (هتلر) بجيوشه أراضى (روسيا) .. نشرت عام ١٩٣٨ فى كتابى «عصفور من الشرق» الآتى: «إنى .. لأتنبأ لك منذ الآن، بوقوع نوع من الحروب الصليبية بين (الماركسية) وبين (الفاشستية) .. (النازية)». (٣٩).

٣٧- انظر غالى شكرى -توفيق الحكيم، الجيل والطبقة والرؤيا: ١٠٦-١٠٧.

٣٨- تحت شمس الفكر: ١٢٠.

٣٩- ثورة المعتزل: ١١٢، ١١٤، - شجرة الحكم السياسى: ٢٠٥.



كان الحكيم، من خلال إيمانه بالقيم الإنسانية ومثل الحياة البشرية، (الحرية، الفكر، العدالة، والحق والجمال)، كما تتبدى فى أفكار هداة البشرية وفى أحلامهم الإنسانية، يشغل تفكيره فى مقاربة بعض القضايا السياسية الكبرى بكل ما ينعكس عنها من مؤثرات على حياة الإنسان، الفرد والجماعة. وهذه القيم العليا لا يؤمن عليها فى المجتمعات الراقية غير رجال الفكر الأحرار وحدهم. ومن مظاهر ذلك حديثه عن صدمته العنيفة بما ترتب على مآسى الحرب العالمية الثانية وأهوالها من آثار الخراب والدمار التى تمنع استمرار الرقى البشرى، وتحد من إمكانات تحسين الحياة. تلك هى أعنف صدمة هزت نفسى فى السنوات القلائل التى تلت الحرب الكبرى الأخرى.. لقد ظننت أن تلك الحرب العظمى بفظائعها ومخاربها(*) قد ردعت البشر.. لكن.. وأسفاه.. فوجئت بما هالنى: لقد ارتدت البشرية بغتة إلى الوراء.. صيحات الغابة والعودة إلى غرائز الدم والجنس.. سآزدرى دائما القوة الوحشية فى ذاتها.. وسأعود إلى القوة الفكرية والمعنوية.. لتمكين النوع البشرى من الاستمرار والرقى(٤٠) وتهوله خدعة الحلفاء وهم يزورون إعلاناتهم للمجتمعات البشرية فى العالم، ونداءاتهم فى ميثاق الأطلنطى بوحدة العالم وبحرياته الأربع. يقول «أتأمل اليوم هذا الكلام وأقول لنفسى. يالها من خدعة!.. كيف استطاع هؤلاء الحلفاء أن يدخلوا فى روعنا هذه الأوهام؟ كيف استطاعوا هم أن يرغمونا على أن نؤمن بالنزوات التى قد تصطنع لنا، ويقنعونا بالأكاذيب التى تقدم لنا على أنها حقائق.. عندما أعلنوا ميثاق الأطلنطى وساحوا فى كل مكان هاتفين: عالم واحد وحرىات أربع!.. كيف استطاعوا أن يثيرونا على القوة الوحشية التى تسحق الأمم الحرة، فنصدقهم ونرتضى فى أحضانهم كما ترتضى الحملان فى أفواه الذئاب.. ونفتح عيوننا فى آخر الأمر لنرى أن لا قوة وحشية غير قوتهم.. ويتمزق لنا الستر عن عصابة من قطاع الطرق تلبس- الإفراك- وجماعة من اللصوص تتكلم بلغة النبلاء.. فإذا جهادهم يتوج بمجزرة لم تر الإنسانية أحط منها يوم ألقوا القنبلة الذرية ليبيدوا مدينتين آمنتين بأكملهما.. بسكانهما الوادعين المسالمين.. إنهم لا يحاربون قبل أن يصنعوا راية معنوية تخفى أغراضهم الحقيقية. راية خفاقة بأسمى المبادئ يؤليون تحتها كل نفس متحمسة للمثل العليا».

«إلى متى يبقى الفكر ألعوبة فى يد القوة؟»

« إلى متى يظل الفكر أداة دعاية في يد السلطان ؟
في النظام الديكتاتوري يصدر الأمر إلى الفكر فيطيع .
وفي النظام الديمقراطي تنصب الخدعة للفكر فيقع » (٤١).



وعلى غرار الأدباء ورجال الفكر الأحرار في الغرب الذين كانوا ينقدون إجزابهم الديمقراطية في بلادهم ، وهم معها في الأساس ، اتخذ الحكيم ، متأسباً بالكثيرين منهم ، مواقف كثيرة من جوانب الحياة السياسية في مصر منذ أواخر الثلاثينات ، وهو ضدها ، وناقم عليها ، إلى حد دعوته عام ١٩٤٥ إلى قيام (حركة مباركة) أو (ثورة مباركة) تعصف بكل مظاهر الفساد التي كانت تعم نظام الحكم والحياة السياسية في هذه الفترة . وحتى من قبل ذلك ، حيث كانت دعوته إلى عودة الروح منذ مطالع الثلاثينات ، وعلى أساس هذه الدعوة ، فقد اعتُبر بعد الثورة ، كلمة الإهداء التي خطها له جمال عبد الناصر على كتابه « فلسفة الثورة » في ٢٨ أيار (مايو) ١٩٥٤ نص وشيقة يحل بها بعض صفحات أعماله الكتابية . ومن هنا ، فهو يعتبر نفسه ، على الأقل ، أحد الآباء ، إن لم يكن الأب الوحيد للمستبد العادل الذي دعا إليه الشيخ محمد عبده منذ وقت مبكر . ولهذا ، فقد رحب الحكيم بقيام ثورة ١٩٥٢ ، وعاش في كنفها معززاً مكرماً ، أتيح له الكثير من فرص الكتابة في نقد بعض الأوضاع . حتى لقد كرّمته الثورة بمنحه أعلى أوسمة الدولة من قبل زعيمها جمال عبد الناصر . وبعد وفاة الزعيم في ٢٨ أيلول ١٩٧٠ ، كانت مبادرة الحكيم بالدعوة إلى افتتاح لإقامة تمثال له في أكبر ميادين القاهرة على حساب الشعب ، وافتتح هو نفسه هذه المبادرة بالتبرع بخمسين جنيهاً من أجل تحقيق هذه الغاية التي لم تتحقق ، وكتب رثاءه الشهير (للفارس والبطل والتاريخ) وقبل أن يمضي على ذلك أقل من سنتين كانت مفاجأته بإظهار مخطوط كتيب « عودة الوعي » ، أعلن في إشهاره . أن آراءه فيه هي « شهادتي أمام ضميري » ، وأن « هذه السطور ليست تاريخاً ، وإنما هي مشاهد ومشاعر استرجعت من الذاكرة ، ولا تستند إلى أي مرجع آخر للفترة بين هذين التاريخين : من يوم الأربعاء ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، إلى يوم الأحد ٢٣ يوليو ١٩٧٢ » .

وفد آثار هذا الكتيب من المواقف والكتابات، ومن الردود المعارضة فى مصر وفى العالم العربى ما يجسد هذا التحول (المضاد) ويستنكره إلى حد الخيانة، أو ما يقترب منها لدى كاتب ومفكر بارز له شهرة واسعة مثل توفيق الحكيم : تلقفه كتاب اليمين وممثلو الطبقات الجديدة والقديمة التى ترفع راية الرأسمالية ضد الطبقات التى قامت الثورة المصرية ورفعت راية الاشتراكية والديمقراطية باسمها، إلى حد أن إسرائيل ومخابرات بعض الحكومات العربية أخذت على عاتقها توزيعه وإهداءه إلى المكاتب العامة لتوسيع قاعدة توزيعه وتداوله. كما انبرى الكثير من الأفراد والمؤسسات الوطنية والقومية للرد عليه، إلى حد اعتبار صاحبه سقط سقطة مدوية، وألقى به، فى رأى بعضهم، كثيراً من ظلال الشك والريب على مواقفه السابقة

ووصل الأمر بتوفيق الحكيم بعد (عودة وعيه) أن كتب عريضة رفعها إلى السادات بعد أن جمع عليها توقيعات بعض الكتاب، بهدف «أن نهى له الجو إذا ما أراد المفاوضة مع إسرائيل» (٤٢).

بداية، وبعد مرور عشرين عاماً على الثورة حتى ذلك الوقت، يقوده (الوعى العائد) إلى أن الثورة لبست طوال ذلك العمر ثوباً غير ثوبها الحقيقى الذى كان يجب أن يبقى عند (موضة) الحركة أو الانقلاب العسكرى. ومن هنا، فهو يراها «ثورة ضد الدستور» (١٩، ٢٠، ٢٣٢) ، ويحس بغرابة أن تصبح الحركة ثورة، وأن يصبح لها مجلس ثورة يصدر القوانين فى حجرات مغلقة دون معارضة، وبغير مناقشة علنية - (٢١، ٢٤٢) ، ويتهم الثورة وأصحابها بالاستبداد والديكتاتورية.

وليس أدعى إلى الدهشة والاستهجان مما يبطنه الحكيم من شعور الغرابة والضيق، وهو يتحدث عن حل (الحكام الجدد) الأحزاب، وإنشاء محكمة الثورة للقيام (بلعبة) محاكمة رجالات الحكم والسياسة السابقين (الكبراء الفضلاء)، الذين راحوا يتسابقون على طلب الحظوة، ويترامون على الأقدام خوفاً وطمعاً فى حلبة التزلف والملق .. (٢٩، ٢٤٩).

ويطيل الحكيم فى الحديث عما اعتبره سحر جمال عبد الناصر - معبود الجماهير

٤٢- انظر محمد عودة - الوعى المفقود - القاهرة للثقافة العربية - دار المأمون للطباعة، ١٩٧٥: ٨٥.

المعصوم- إلى حد جعل مواقف الجماهير من الزعيم ومن الأحداث السياسية، ناتجة عما اسماء (الانفعال ورد الفعل). وهو يرى أن الزعيم رجل انفعالي عاطفي (مهوش)، وأنه (لم يكن رجلا سياسياً، ولم تكن له قط طبيعة السياسة.. فقد كان أقرب إلى طبيعة الكاتب الفنان الحالم العاطفي، ويظهر أن الظروف، كما قال، هي التي دفعت به إلى طريق غير طريقه- (٢٩ ٥٥ ٥٦ ٢٥٨ ٢٧٢). وقد شلت الثقة بالزعيم تفكير الجماهير التي، عندما تحب لا تناقش- (٢٧-٢٥٦).، ولذلك فقد حكم مواقفها (هستيريا الهتاف والتصفيق)، بحيث أصبحت الحناجر هي العقول، وما كان يبدو على الزعيم ضيق بذلك، وإنما كانت ابتسامة الرضا ترتسم دائماً على شفثيه- (٤٢. ٢٦٠)، وأمام تسخير إمكانات الدولة من أجل الدعاية للزعيم ولانجازات الثورة، فقدت مصر والحكيم نفسه الوعي، وألغيت العقول، ما عدا عقل الزعيم، وفي ذلك، كما يرى الحكيم، ما يشبه السكر إلى حد التحطيم المقصود لوعي مصر، وتغييب هذا الوعي- (٧٤. ٣٨٢. ٣٩١. ٣٩٤).

ويتهم الحكيم في كتابه عبد الناصر بأنه عمل على أن يدمج مصر كلها فيه، وعلى إقناعها بأن عمرها الحقيقي هو عمر الثورة ونظامها، وأن لا عمر لها قبل ذلك ولا بعد ذلك يستحق الذكر. وهذه المحاولة، في رأيه، تشبه محاولة ضغط مصر العملاقة ووضعها في علب الثورة إلى حد خنقها- (٧٥. ٣٩٥).

ويبلغ به الأمر حد الاقتناع بمحاولة تلطيخ الثورة بتهمة استنادها إلى أمريكا التي وقفت منذ قيامها، إلى جانبها، وأسكتت الإنجليز الذين كان في مقدورهم إجهادها في نصف ساعة. ويرى أنه حتى توتر علاقاتها لاحقاً مع أمريكا (قيل إنه كان مخططاً له في السياسة الأمريكية ليؤدى إلى إخراج إنجلترا وفرنسا من المنطقة، وتسليم قناة السويس لمصر) (٥٢ ٣٦٩). وهو يتساءل عما إذا كانت الثورة نظاماً طبيعياً أو نظاماً مصنوعاً نتج عن حركة أزرتها وخططت لها أمريكا لتزرع في المنطقة أنظمة عسكرية على غرار ما فعلته في أمريكا الجنوبية اللاتينية، لتوقعها أن مصر وقتذاك كانت مهياة فعلاً ومقبلة على نهضة ذاتية تنبت فيها الاشتراكية نبتاً طبيعياً شعبياً (٢٩٠).

ويدفعه موقفه (الواعي) من الثورة ومن سياسات عبد الناصر إلى اعتبار موقفها من ثورة اليمن مغامرة طائشة، ضاع بسببها أمل المصريين في تحسين حالهم، حيث كانت هذه الحرب، بكل تكاليفها، حرباً ضائعة، تلت هزيمة حرب ١٩٥٦، وأرهست بهزيمة ١٩٦٧، في رأيه- (٥٨ ٥٩٠ ٢٧٤. ٣٧٥).

(وهذه الاخفاقات المتتالية للثورة وسياسات قائدها) جعلت الحكيم يقترح على لسان أحدهم ، أو كأنه يوافق على اقتراحه رقامة تمثال عبد الناصر المقترح فى تل أبيب ، وليس فى القاهرة ، لأن إسرائيل ، كما يقول « لم تكن يوماً تحلم بأن تبلغ بهذه السرعة هذه القوة العسكرية ، ولا أن تظهر أمام العالم بهذا التفوق الحضارى ، إلا بسياسة عبد الناصر » (٦٧ ٢٨٥).



بدا المشايخ توفيق الحكيم ، بكل الدوافع ، أن مواقفهم فى جميع الفترات السياسية ، منذ ثورة ١٩١٩ وعودة الروح إلى فترة « عودة الوعي » عام ١٩٧٢ ، منسجمة ومتماثلة ، وأنها تجسد موقف الأديب فى فكره الذهنى السياسى الذى عبر عنه ، على عادته ، فى كتاباته كلها ترفع ومثالية . وإذا صدق هذا الاعتبار على الفترة حتى ١٩٧٢ بعد وفاة جمال عبد الناصر بسنتين ، فإن موقفه بعد هذه الفترة ، قد اتخذ ، فى رأينا منحنى مغايراً ومضاداً إلى حد التناقض ، بكتاباتيه ومباحثاته مخطوطة « عودة الوعي » حتى إن الكاتب المعروف محمد عودة أضفى على هذا الكتاب صفة « الوعي المفقود » ، وأصدر كتاباً بهذا العنوان ، يرد فيه على الحكيم ، ويدحض آراءه ومواقفه . كما كتبت ردود ونشرت مناقشات مناقضة عديدة حول هذا الموضوع / الموقف ، اتخذت المنحنى نفسه ، وأخذت على الحكيم هذا التحول المضاد إلى حد الانقلاب ، خصوصاً وقد فتح أبواب الهجوم العنيف على (الثورة المباركة) التى طالما دعا إليها ، وعاش مكرماً فى ظلها ، كما اتهم زعيمها ، فى انقلابه المفاجئ ، بأبشع التهم ، وقد أخذ على عاتقه ، لفترة ما ، الدعوة إلى الصلح مع إسرائيل ، إلى حد تبني هذه الدعوة والتمهيد بها إلى مفاوضات السادات معها ، وعقد معاهدة (كامب ديفيد).

وهنا ، لابد للسؤال عن دوافع هذا الانقلاب وتفسيره ، أن يطرح نفسه بقوة أمام موقف محير إلى حد الإثارة ، انكسر فيه الأديب الكبير ، وبدأ خارجاً عن مثاليته ومبادئه بعد هذا العمر الطويل والشهرة الواسعة .

ويمكننا أن نجد تفسير ذلك كامناً بشكل خاص فى عنصرين رئيسين : أحدهما . يكمن فى طبيعة شخصية الحكيم الإنسانية والفنية . ويكمن الثانى فى حقيقة تفكيره واعتقاده إلى حد الإيمان بفكرة « مصر للمصريين » التى تتناقض مع فكرة القومية العربية ، وتتعارض مع دعوة العروبة والوحدة التى تبناها عبد الناصر وجعلها ميسماً

من مياسم الثورة المصرية ، وهدفا رئيسا من أهدافها .

وبالنسبة للعنصر الأول ، فإن آراء الدارسين ، وكلها تمتح من أحداث حياة الحكيم ومن اعترافاته وتسجيله بعض مجريات هذه الأحداث ، تتفق على رصد طبيعة خاصة لشخصيته تجسد فيها ما التقى لديه من آثار حياته الأسرية : بعض صفات والديه ، وطباع شخصيتهما وعلاقتهما ، وما ورثه عنهما من صفة التقنين في أمور الحياة المعيشية ، إلى حد التقدير والبخل . وكذلك طبيعة الحياة التي عاشها في البيئة المصرية ، واثار حياته في باريس ، وما نتج عن ذلك من الإحساس بالتناقض الحاد بينهما ، من أقصى الحدود التخلف إلى أقصى حدود التمدن والتطور ، مما أورثه ، بسبب ذلك كله ، المنحى إلى الانطواء والعزلة . وقد فاء بهذا المنحى لديه إلى الاطمئنان إلى هذا الشعور العميق لدى الأديب الفنان بالظاهر والباطن في حياته إلى حد الركون فيما يشبه الكمون في برج عاجي على عادة أهل الفن لأجل الفن . وقد فرضت عليه هذه العزلة والانطوائية حالة من الاستغراق الذهني أورثته خصائصه المحددة في حياته بعامة ، وفي أدبه ومسرحه بخاصة . ومن هنا ، فإنه يكاد يكون قطع نفسه عن حقائق التجربة الواقعية والعملية المعيشة في الحياة ، فعاش ، إلى حد بعيد ، على نوع من التفكير النظري المثالي . وهكذا كلما تقدم به العمر كان يستغرق في هذا النمط من الحياة والتفكير والتعامل ، إذ كانت تقوى وتتعمق لديه هذه الخصائص لتبعده أكثر عن واقع الحياة اليومي وتجاربها الشخصية المعيشة . ولولا مواهبه الأدبية والفنية الكبيرة ، فهل كان يمكن السؤال منها ، عن طبيعة العقد النفسية ومدى تأثير هذه العقد على حياة الإنسان ، وعلى نفسه لديه ؟ ولما كان الحكيم الأديب يعتمد في شئون حياته الأساسية على وظيفته ، وربما ريع نتاجه الأدبي بخاصة ، فإن هذا النمط من الحياة ، أو الموقف منها قد عمقا في نفسه الشعور بالروتين والجهن البيروقراطي الإداري الذي ظل محكوماً بحساباته المادية إلى حد البخل الذي شاعت طرائفه فيه مع أهله وفي المجتمع ، وبحساسية خاصة تجاه المستقبل والوظيفة . يذكر هو ، بقدر من الترفع والمباهاة بتمسكه بمبادئه ، أنه رفض ذات مرة تلبية دعوة جمال عبد الناصر له إلى تناول الشاي في بيته (*) . ويلقى محمد حسنين هيكل الضوء على هذه الحكاية بطريقة مغايرة ، إذ يذكر أن الحكيم كان قد طلب لقاء الرئيس كي يشكره بنفسه على تكريمه له باستثنائه من قانون الإحالة على المعاش حسب قانون خاص ، ثم تقاعس الحكيم نفسه عن ذلك اللقاء ، بسبب إصراره على الحصول على إذن بذلك من وكيل وزارته ، قائلا

لجيكـل .. نعم، إذن من وكيل الوزارة .. أنا موظف ، ووكيل الوزارة باقى (كذا) ، ولكن عبد الناصر من يدري قد يبقى اليوم ويذهب غداً (٤٣) ويذكر هيكـل أن شكوى الحكيم إلى عبد الناصر يوم لقيه بمناسبة افتتاح الأهرام ، كانت من ارتفاع الأسعار فى كافـتيريا الأهرام .. وأن عبد الناصر أمر يومها أن تكون كل طلبات توفيق الحكيم مجاناً على حساب الأهرام (٤٤) . ألا بجسد هذان الموقفان طبيعة وأبعاد الشخصية الإنسانية التى نضجت وشاخت على هذا السلم لدى الحكيم / الأديب الفنان ؟ ففـيها نحس بأثر الببروقراطية ، وبما يتـلم النبـل فى إنسانية الإنسان / الفنان الكبير الذائع الشهرة والصيت .. ما يجعل من السهولة وفى الإمكان أن تكسر أنفة النفس ، وأن تمس شهامتها الإنسانية من داخلها . وفى ذلك أشد حالات الانكسار ، وأكثرها مدعاة لشهافت النفس ولكبوات جوادها فى الوقت الصعب غير المناسب .

وإذا كان يمكن للدارس أن يجد بعض الدوافع فى انقلاب الحكيم على الثورة والناصرية فى إمكان وقوع بعض الأخطاء والمآخذ فى التطبيقات الديمقراطية والاشتراكية ، وهى أخطاء لا يخلو من الوقوع فيها إلا من يعملون ، ولا يكاد يخلو من الوقوع فيها أحد ممن يأخذون على عواتقهم أن يجدوا ويعملوا ، كما كان يحلو لعبد الناصر أن يقول ويكرر فى كثير من المواقف ، فإن العنصر الرئيس الثانى الذى أدى إلى تردى الحكيم ، وأودى به إلى هذا المنقلب المضاد ، هو اعتقاده إلى حد الإيمان بفكرة « مصر للمصريين » ، وبالتالى عدم قناعته بفكرة القومية العربية والعروبة والوحدة . وعلى هذا الأساس ، وبعد الانحراف الذى لحق السياسة الرسمية بعد وفاة عبد الناصر ، وجد الحكيم فى هذه الفكرة / الهدف وما ترتب عليها من مسئوليات عظيمة تحملتها الثورة وقام بها عبد الناصر ، مسوغاً له فى هذا الانقلاب ، خصوصاً وقد كان يشايعه فى فكرة المصرية إلى حد التعصب ، بعض رفاق عمره من مشهورى المثقفين المصريين من أمثال حسين فوزى ولويس عوض ، وكلهم ورثوها عن أمثال أحمد لطفى السيد ، وسلامة موسى ، ووطه حسين وغيرهم من جيل الرواد الأوائل ، ثم إن ثلاثتهم كانوا ضمن من تربعوا على عرش السلطة الثقافية فى مصر فى عصر عبد الناصر .

لم يكن توفيق الحكيم يؤمن بفكرة القومية العربية ، إذ كان يرى « أن مصر والعرب طرفا نقيض : مصر هى الروح ، هى السكون ، هى الاستقرار ، هى البناء ! .. والعرب هم

٤٣- أنظر عودة الوعى : ٥-٨ : شجرة الحكم السياسى : ٣٩٧-٣٩٨ .

٤٣-٤٤ أنظر محمد عودة- الوعى المفقود : ٧٨ .

المادة، هي السرعة، هم الظعن، هم الزخرف (٤٥) وانطلاقاً من هذه القناعة راح يميز، باعتزاز، ما أسماه «العقلية المصرية» و«الفن المصري». يقول مثلاً: «... إن اختلاطنا بالروح العربية، هذا الاختلاط كاد ينسينا أن لنا روحاً خاصة، تنبض نبضات ضعيفة تحت ثقل تلك الروح الأخرى الغالبة، وإن أول واجب علينا هو استخراج أحد العنصرين من الآخر.. لا بد لنا إذن أن نعرف من المصري؟ ومن العربي؟ (٤٦).

وتتجسد هذه القناعة التي استقرت في ذهن الحكيم وتخمرت مع مضي العمر، وظلت تلازمه ملازمه ظله، من خلال رده على سؤال غالى شكرى له عن مدى (العداء) بين الهوية الوطنية المصرية، وبين الهوية القومية العربية، حيث يقول ضمن رده «...إننى أجيد الإحساس بالجيران والأشقاء، غاية ما هناك أننى أسمى الأشياء بأسمائها، ولا أتعلق بالأوهام أو بالأمانى السياسية.. ولست أظن أن الداعين إلى العروبة هم الخطر الماثل، لو أننا دفعنا الثمن غالياً في سبيل الأوهام الناصرية، الخطر هو تلك الدعوات السلفية المعادية للهوية الوطنية المصرية كانت أم عربية» (٤٧). هذا أمام ظهور الدعوات السلفية، أما قبل ذلك، فهل تمثل دعوة العروبة القدر نفسه من الخطر على الهوية المصرية، فهي مستهدفة منهما كليهما، فى نظره؟.

ولقد أعمى الحكيم موقفه المعادى لفكرة القومية والعروبة عن تبصر حقيقة التأييد المبذون المشرف الذى اتخذ عبد الناصر تجاه ثورة اليمن فى تلك الظروف العاتية. وكان من ثمار تضحياته حقاً، بقاء تلك الثورة واستمرارها رغم التعقيدات والعواصف التى ظلت تحدق بها ولم يستطع الحكيم أن يرى فيما أسماه «مغامرة اليمن» إلا (علب الطعام المحفوظ التى كانت تلقى للجنود من الجو، وكانت تفسد فوق جبال اليمن)، كما لم يستطع أن يقدر إلا «ضياع أملنا فى تحسين حالنا» (٤٨).

وزيادة على ذلك، فقد عمى الحكيم عن مواثيق الثورة وعن فلسفتها وخطتها وعن كل إنجازاتها فى ميادين السياسة والاقتصاد والتعليم، مما أحيى الشعور بالاعتزاز والكرامة القومية فى نفوس جماهير أبناء الأمة، وجعل مصر تبدو فى فترة ازدهار

٤٥- تحت الشمس الفكر: ٦٠، ٥٠، ٥١. «الغالية» كذا فى النص، وقد تكون «الغالية».

٤٦- تحت شمس الفكر: ٦٠، ٥٠، ٥١. «الغالية» كذا فى النص، وقد تكون «الغالية».

٤٧- أنظر توفيق الحكيم، الجيل والطبقة والرؤيا: ١٦٦.

٤٨- شجرة الحكم السياسى: ٢٧٥.

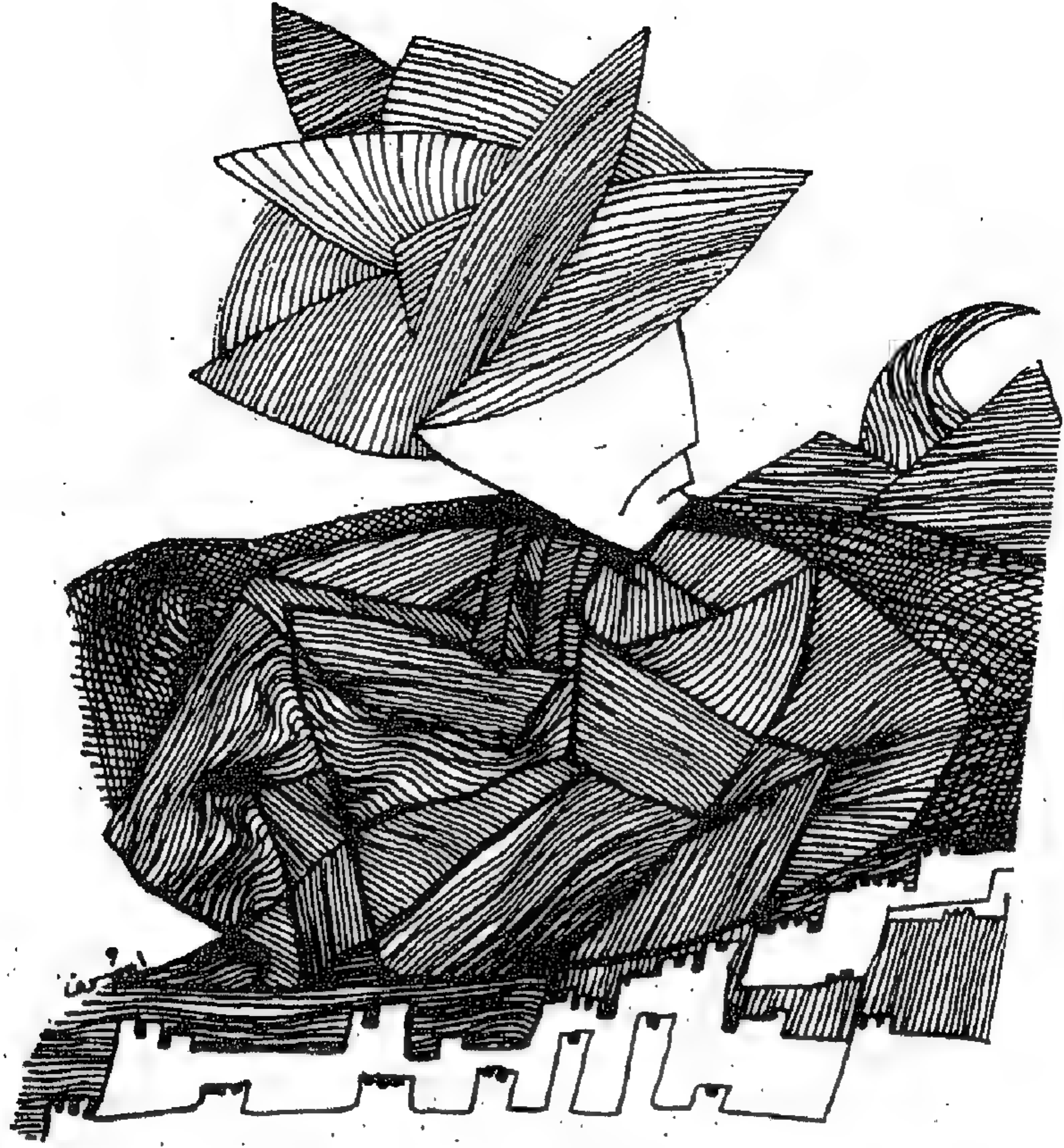
الناصرية النموذج والمثال المحتذى فى استقلالية الموقف وتحدى الاستعمار والإمبريالية أمام دول العالم الثالث وعدم الانحياز.

وعندما تقرر سياسة (الانفتاح) التى رسمتها الدولة بعد وفاة عبد الناصر، بدأ تنفيذ مخطط الحملة عليه وعلى إنجازاته أساساً لبرنامج العمل، فبدأ التراجع عن سياسته عروبة مصر، من أجل توفير المناخ الملائم لهذا الانفتاح الذى أودى بمصر فى مآله الأخير إلى مهاوى البلاء والتردى الاقتصادى. وفى هذا الجو اتبرى الحكيم يضع نفسه إذاً ربيعة فى جهاز الدعاية الرأسمالية، فراح يدعو للانفتاح طريقاً للتقارب مع إسرائيل وإلى الصلح معها. وهو يعترف فى مقابله مع غالى شكرى بأنه (ومعه حسين فوزى ونجيب محفوظ) قد «سبقنا السادات بخمس سنوات» فى الدعوة إلى الصلح مع إسرائيل وهو، فى الحقيقة، غافل عن المصلحة الحقيقية لمصر التى ظل يعلن أنه نذر نفسه وحياته وأدبه من أجل عودة الروح إليها

وفى هذه الفترة التى بدأت فيها الحملة على الناصرية، التقى الحكيم مع السادات لقاء المصالحة الشهيرة عام ١٩٧٢، حيث رحب به السادات، وقد أسر إليه الحكيم نبأ «عودة الوعى» بمثابة هدية يستعين بها النظام فى سياسته الجديدة على فتح بعض الأبواب الموصدة. وبلغ سريان الحقد فى نفس الحكيم مع تراخى الزمن حداً دفعه إلى إضافة فقرات عديدة إلى نص كتابه المطبوع عام ١٩٧٤، وقد ضمنه كتابه «شجرة الحكم السياسى فى مصر ١٩١٩-١٩٧٩» المطبوع عام ١٩٨٥، فأضاف إليه إضافات عديدة مختلفة فى أطوالها، أشار فى إحداها إلى ارتباط الثورة المصرية بالمخططات الأمريكية (*). وهذه الإضافات فى معظمها تحمل الإساءة إلى الثورة وإلى زعيمها عبد الناصر.

وفى نهاية هذا البحث، هل يمكن الاستعانة بتفسير غالى شكرى (ظاهرة) توفيق الحكيم المنتمى إلى الطبقة المتوسطة فكرياً وعاطفياً، حيث يقول: «لم يكن توفيق الحكيم «ثورياً» بالمعنى الناصرى ولا بغيره من المعانى مطلقاً. وإنما كان برجوازياً وطنياً يشهد مصير طبقته فى تطورها المحتوم، يشهد من داخل الطبقة لا من خارجها، أى إنه لا يطل عليها من موقع النظام الناصرى الذى تطابق حيناً واختلف مع هذه الطبقة. ولا يطل عليها أيضاً من موقع الطبقات الأخرى الحاضرة فى صميم المشهد الاجتماعى الجديد، فضلاً عن أنه لا يطل عليها من مكان ما فوق الطبقات».

«لم يعن الحكيم بثورة يوليو، إنما من خلال تأثيرها الإيجابى والسلبى على طبقته



(ومشروعها الفكرى - السياسى - الاجتماعى) ..توفيق الحكيم أيد مصالح ورفض مصالح
إنه لم يؤيد مصالح «الثورة» ، وإنما دعم إجراءات الثورة من أجل - الطبقة - ، ورفض
إجراءات الثورة ضد الطبقة (٤٩).

ومهما كانت درجة صحة هذا التفسير ، فإن الحكيم ، بالإضافة إلى ما ذكرناه حول هذه
الظاهرة ، يظل يجسد فى هذه المرحلة ، محدودية الأفق السياسى ، وضعف الوعي به إلى
حد الفقدان ، وهكذا راوح بوعيه بين الحضور الطاغى فى مرحلة الشباب و«عودة
الروح» ، وبين التوازي إلى حد الفقد والخسران فى مرحلة الشيخوخة و«عودة
الوعي» !. كأنه فى ذلك كمن وصل فى الزمن الأخير ، الصعب وغير المناسب.

٤٩- أنظر توفيق الحكيم ، الجيل والطبقة والرؤيا : ١٣٢ - ١٣٣.

عبد الله الطوخى: دراما الحب والثورة

ف.ن

كثيرة هي المشكلات التى تواجه الكاتب فى بلدان العالم النامى التى لم تلتحق بعد على نطاق واسع بثورة الصناعة فبقية مدنها رغم اتساعها وكثرة عدد سكانها قرى كبيرة فيها ما أسماه الرئيس المصرى الراحل أنور السادات بأخلاق القرية وعاداتها وتقاليدها التى تمارس تأثيرها الكبير على التكوين الثقافى حتى للمبدعين.

وإذا ما نجح المبدع - عن طريق الوعى - فى نقد هذا التكوين وتطويره وتنقيته من الشوائب فإنه يظل يلاحقه من خارج نفسه قادمة مع العادات والتقاليد والأعراف والأوامر والنواهي التى تستبد بالمجتمع التقليدى وتجعله يفرض سطوته على الأفراد ويخضعهم قسرا لهيمنته ورقابته فيعوق تحررهم وانطلاقهم الضروريين لسكان المدن.

علي هذه الخلفية التى تصارع فيها الحداثة بل وربما ما بعد الحداثة أيضا ضد العالم التقليدى القديم وأفكاره ورؤاه تنشأ صعوبات بالغة أمام المبدعين الذين لا يندر أن يتحايلا عليها باللجوء كثيرا إلى الرمز فى عملهم أو محاولة استلهاهم التاريخ للتحدث عن الحاضر الملتبس الذى تصعب مواجهته بصراحة، أو الكشف عن حقيقته ورؤية المبدع لها دون تزوير أو مداراة.

فإذا ما كان المبدع الذى باستطاعته دائماً أن يضع مسافة بين ذاته الخلاقة وموضوع الإبداع الفنى، بل يستعير ضمائر أخرى للحديث عن نفسه - إذا كان هذا المبدع يستطيع أن يتخفى أو يحتجب عبر مجازات الفن، فإن كاتب السيرة يعجز دائماً عن ذلك، وهكذا نادراً ما نجد سيرة ذاتية لمبدع أو سياسى أو شخصية عامة خالية من المناطق الغامضة ومن الفجوات التى يستطيع القارئ الذكى أن يشعر بها، ومن الفراغات التى تملؤها النقاط الموجهة للمتلقى اللبيب الذى هو بالإشارة بفهم، وهو بالحدس يستكمل ما لم يسبغ الكاتب أن يخطه فى سطور لأنه خضع بهذه الطريقة أو تلك لضغوط مجتمع القرية الذى لم يتلاش رغب العيش فى المدينة.

أما إذا كانت المرأة طرفاً رئيسياً فى هذه السيرة فإن درجة الصراحة والوضوح فيها لابد أن تقلص نتيجة لوضع المرأة الشائك والملتبس فى مجتمعنا، إذ لا تسمح الأعراف والتقاليد لا للرجل ولا للمرأة بالحديث الحر عن علاقتهما بما فيها من تقلبات وصراعات، من مودة وتوتر، من حب وغضب وكبره وثورة، ومن صراع فكري غالباً ما يكون موضوعه هو حرية المرأة والمدى المسموح به لها للسيطرة على مصيرها والتحكم فى حياتها.

ذلك أنه وبالرغم من دخول المرأة إلى مجال الحياة العامة منذ بداية هذا القرن وفى أتون الثورة الوطنية المعادية للاستعمار فى مصر، فما يزال هذا السؤال الحائر يواجهها حتى وهى مستقلة اقتصادياً، إذ أن الاستقلال الاقتصادى هو أساس أولى لحريتها، ولا أتحدث هنا عن القيود القانونية التى يمكن أن تواجهها امرأة عاملة ومستقلة حين تعجز عن تطليق نفسها، أو تجد نفسها ممنوعة من السفر لأن الزوج رفض أن يؤشر بموافقته على إصدار جواز سفرها وهو ما حدث للنساء مرموقات فى السنتين الأخيرتين دبلوماسيات ومضيفات طيران..

وإنما أتحدث عن وعى المرأة نفسها بذاتها ونظرتها التى عجزت فى الغالب عن الإفلات من قبضة العالم التقليدى والعرف الاجتماعى القديم الذى ينبعث مجدداً بكل قوة مع الموجة السلفية الرائجة الآن، إن المرأة ترى نفسها كرهينة تستمد مشروعيتها وجودها من الانتساب إلى الرجل، ويظل شرط تحققها الإنسانى ناقصاً لو عجزت عن تأكيد هذا الانتساب خاصة بالزواج.

أما النساء اللاتى يتحدین كل هذه الأوضاع ويتعاملن معها بوعى نقدى وسلوك

متحضر ومتسق وحر فإنهن في الغالب الأعم شقيقات باختيارهن الصعب، لكن هذا الشقاء نفسه هو الضريبة التي لا بد من دفعها فداء حرية الأجيال القادمة من النساء التي يمهّد لها هذا الجيل في ظروفه المعقدة وحرّيته التي تنضج في ظل الأزمات والتراجع طريقاً جديداً لحرية شاملة.

حين يكتب رجل سيرة حياة طرفها الثاني والأصيل امرأة مفعمّة بروح الإقدام مثلما هي حال الأديب المصري عبد الله الطوخي وزوجته الكاتبة الدرامية والمناضلة فتحية العسال وحين يكون هذا الطرف الآخر في العلاقة أي فتحية - علي اتم استعداد - لدفع الضريبة وتحمل الشقاء المحتمل فلا بد أن تكون هذه السيرة جديدة وجديرة بالتأمل والتحليل، فإذا كان كاتبها أديباً يمتلك أسلوباً عذبا بسيطاً وسلساً كالنهر الذي سبق أن كتب عنه عبد الله الطوخي واحداً من أجمل الكتب. فإن الأمر يختلف .

حين يكون الأمر كذلك تصبح السيرة التي منحها كاتبها عنواناً دالاً هو «دراما الحب والثورة» عملاً إبداعياً من الطراز الأول، غنياً بقدرته على الإمتاع وممتعاً بفنائه وتعدد جوانبه.

يبدأ هذا الجزء من السيرة بعد خروج المؤلف من السجن الذي قضى فيه عامين بسبب انتمائه لأحد التنظيمات الشيوعية السرية التي سرعان ما هجرها بعد خروجه تنفيذاً لقرار كان قد اتخذه وهو سجين بالألقاب حريته كما يراها ككاتب بالانتماء إلى تنظيم يتحكم في حياته ومصيره، فضلاً عن أنه كان مؤيداً متحمساً لثورة ٢٢ يوليو وقائدها جمال عبد الناصر ورأى أن هذه الثورة هي تتويج للنضال الشاق الذي خاضه الشعب المصري على امتداد السنين، ولعل بعض أجمل الفقرات في هذه السيرة هي الحوار الخيالي الذي يجري بين كاتبها وبين «جمال عبد الناصر» حيث يدور صراع رفيع المستوى بين مثقف غيور على صورة الثورة ونقائنها، وسياسي منغمس في الواقع العملي بضروراته وحاجاته العملية التي كثيراً ما تتناقض مع المبادئ المجردة.

كذلك كانت سنين السجن تلاحق «عبد الله» تماماً كما لاحقته الدولة البوليسية من قبل ومن بعد، وقد وجد نفسه وهو صاحب الأسرة - التي أخذ عذدها يكبر - عاطلاً عن العمل يلاحقه ماضيه السياسي ويقف له بالمرصاد رغم أن في البلاد ثورة، وتصبح أسرته مهددة في استقرارها رغم أنه يؤيد الثورة تأييداً حقيقياً

ويسوق لذلك أسبابه كما فى الجزء الأول من هذه السيرة « سنين الحب والثورة » الذى نلتقى فيه « بفتحية العسال » مع الصفحات الأولى التى قالت له رسالة جميلة هربت إلىه وهو سجين « إننى قدرك ».

« تصورت لو لم تكن هى فى انتظارى ليلة الإفراج عنى، كم كان خروجى من السجن سيكون بارداً ومعتماً وكتيباً »

وفتحية ليست مجرد الطرف الثانى فى علاقة سرعان ما سنكتشف ما فيها من ندبة وتكافؤ وتكامل.. ولكنها موضوع الحياة ذاته.. موضوع الفن لا كملهمة كما كانت المرأة مع كبار الكتاب والمبدعين فى القصص التى قرأناها عن حياة هؤلاء، وإنما كفكر ووجهة نظر ورأى يتفق ويختلف وعالم بكامله سوف تنضج فى ظله موهبتها هى أيضاً ككاتبة تخلق موضوعاتها وتبرز فى فن الحوار الذى يؤهلها لكتابة مسلسلات إذاعية وتليفزيونية ومسرحيات « فى كل مرة وأنا أمسك بالقلم لأكتب أجد وجهها أمامى ملامحها تذكرنى بمواقفها، تصرفاتها، كلماتها، حتى إننى فكرت أن أقول لها: تعالى يا فتحية، واكتبى أنت ما أريد أن أكتبه أنا عن حياتى التى غدت هى حياتك » وسوف نكتشف فيما بعد وفى تعبيرات صريحة أن الكاتب يمثل صورة « بيجماليون » الفنان الإغريقى والإله الذى أراد أن يبت الحياة فى تمثال أحبه لجلالته، وحين تسرى الحياة فى دماغها، حين تستقل عن إزميلة، وإرادته وتغدو هى نفسها لا أكثر ولا أقل، يعصف به الغضب لأنه يفقد سيطرته ويعجز عن كبحها وتملكها..

ففى الحب درجة من الرغبة فى التملك تقل أو تزيد، لكن « عبد الله الطوخى » الذى قرأ بحبيبته فى سنين الزهو من كتاب « جبران » كان يتحوط لما يمكن أن تحمله إليه حرية رفيقته من ألم فى « دراما الصراع الألى الخطير والحمى بين الحب والحرية » وحتى يحتفظ لكل من الحب والحرية بالمساحة الضرورية للتنفس وامتصاص أشعة الشمس ولفحات الهواء، قال لهما جبران:

« ليملا كل واحد منكما كأس رفيقه، ولكن لا تشربا من كأس واحدة. ليعط كل واحد من خبزه لرفيقه، ولكن لا تأكلا من الرغيف الواحد، ولتقفا معا، ولكن لا يقترب أحكما من الآخر كثيراً، لأن عمودى الهيكل يقفان منفصلين.. أجل.. وليكن بين وجودكما معاً فسحات تفصل بعضكم عن بعض، حتى ترقص رياح السموات فيما بينكم... »

ورغم هذا «الدستور» الذى وضعه لحياتهما إلا أن الصراع المحقّم فى الحياة الاجتماعية والسياسية، والتراث الثقافى الموروث والمتراكم بأبويته شديدة القبضة والى تضع الرجل على العرش سيداً على نساؤه، كل هذا الإرث الذى يكذب من يقول إن بوسعه التخلص منه بالكلام تتأتى عبارات الكاتب عن زوجته التى كان - أبوها قد منعها من استكمال تعليمها بعد المرحلة الابتدائية لأن المرأة مكانها البيت «ولأن تديبها قد برز» كما تحكى هى، يقول عبد الله الطوخى:

«ولأتنى كنت أحس بأننى شمس حياتها ومصدر الضياء لها، فلم يهن على أن أردّها إلى منطقة الحريم المعتمّة التى انتشلتها منها..»

وهو يفترض أنها كانت ستقبل هذه العودة أو أت يردّها إلى العتمة كأنها شئ، إنه شعور المنقذ السيد المزهو بشهامته ونبله والمتصدق بهما على امرأته ولكنه سرعان ما يراجع نفسه بروح نقدى نزيه «كيف أفكر ولو للحظة بعزلك عن مجال الحياة بالخارج والاحتفاظ بك معلبة فى البيت، أو بطة بريّة مربوبة من أجل لحظات المتعة والهوى جارية وراعية للأولاد...»

ويستدعى على الفور حكايات بالغة الدلالة عن تناقضات بعض - بل قل أغلب المثقفين الثوريين الذين يفصلون بين شعاراتهم البراقة التى تدعو إلى تغيير العالم وتبشر بقيم إنسانية جديدة، وبين ممارساتهم المتخلفة والرجعية خاصة فيما يتعلق بالمرأة - ويحكى لنا عن زيارة يقوم بها إلى أحد رفاق السجن بعد خروجهما، وإذ به يستمع وهوىهم بدق جرس الباب إلى مشاجرة محتدمة بين الصديق وزوجته:

«كان يكيل لها الاتهام كالطعنة، كيف سمحت لفلان (...) بالدخول إلى البيت وأنا لست موجوداً فيه (وفلان هذا صديقه ورفيقه).

ويستمع الكاتب لرد الزوجة وهى تقول:

«بألم واشمئزاز: أعوذ بالله.. أعوذ بالله.. يبقى انتم ناس كدابيين .. بتوع كلام وپس.. وعشان كده أنا ما عنديش ثقة فيك ولا فى أفكارك، ولا فى أى حاجة تخصك يا حضرة الزعيم».

ولأن هاجس البناء الفنى يظل مسيطرًا على الطوخى حتى وهو يكتب سيرة تتسم بالتلقائية فإنه يسوق فى مكان آخر قصة صغيرة مشابهة وإن معكوسة عن زوجة أحد أصدقائه الذى كان ما يزال مسجوناً وهى صديقة زوجته فتحية، وجاءت

لزيارتها ولم تكن فتحية في البيت بينما هو نفسه يعيش حالة من الرغبة العارمة الشبقية، وكانت المرأة جميلة تماما كما تصور المرأة التي يشتهيها، وكانا وحدهما، رجل وامرأة والشيطان ثالثهما كما يحب الذين لا يثقون في قوة الإنسان الروحية والأخلاقية أن يصفوا الخلوة بين الرجل والمرأة.

يقاوم نفسه مقاومة الأبطال «ورحت أجاهد كي أستعيد هدوء أنفاسي..»
فماذا لو كان الوحش قد انتصر «في ذلك اليوم أحببت نفسي مثلما لم أحبها من قبل أبدا..»

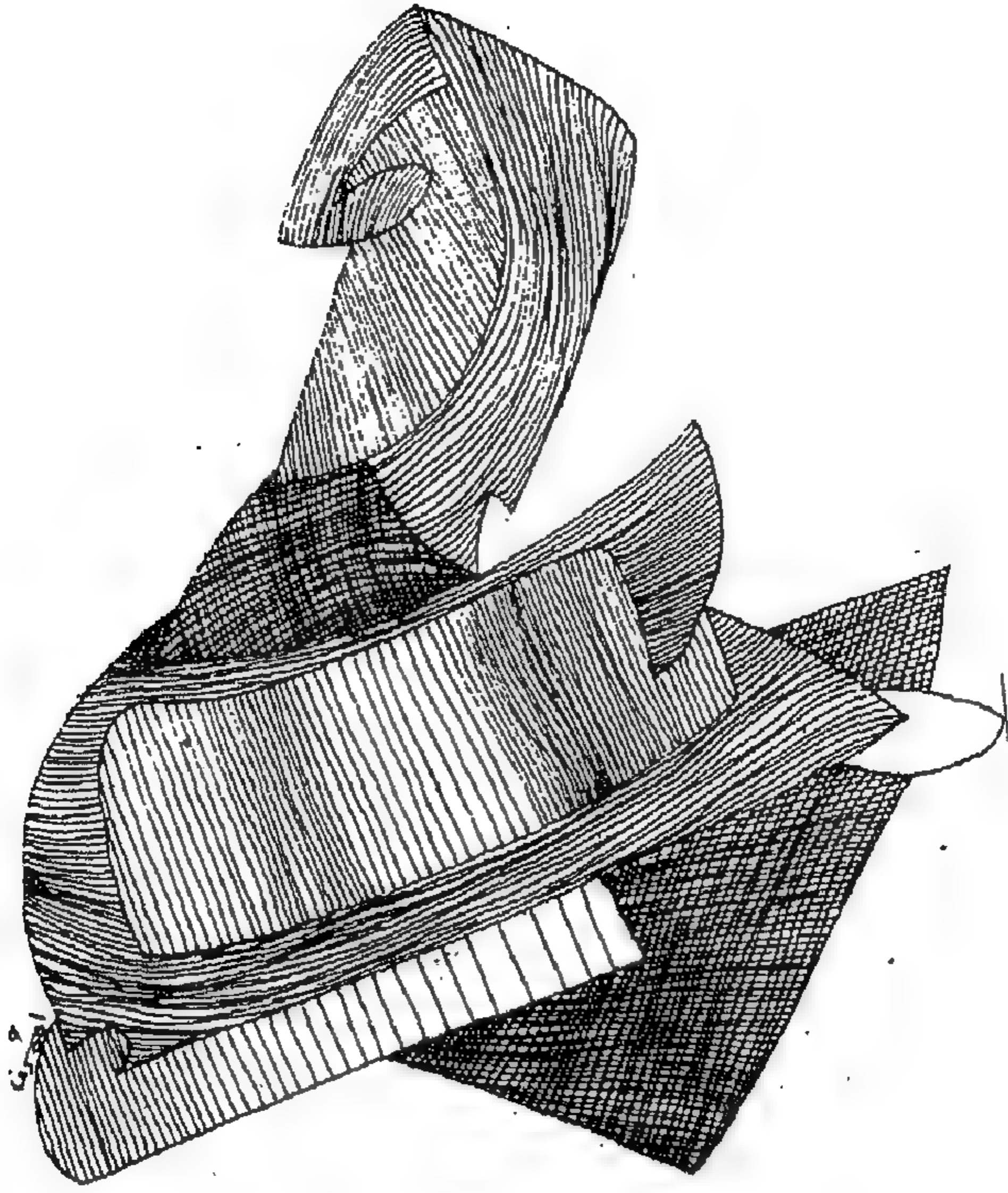
تتوقف السيرة أمام المحطات الرئيسية في مجموعة من علاقات الكاتب السياسية والمهنية ولكن المركز الأساسي لها يظل علاقته بزوجته، موجات الصعود والهبوط، تحولها من أول قارئة وناقدة لأعماله إلى كاتبة مستقلة بذاتها، اختلافها العاصف معه في السياسة، في تقديره العالي لكل من «جمال عبد الناصر» و «أنور السادات» في رفضه للعمل الحزبي المنظم وانخراطها هي فيه في لحظات الغربة والعزلة بل. النفور، وهو يحكى قصة طلاقهما بعد أن ظنا أن ما كان بينهما قد انتهى وهما يسكنان في شقتين متجاورتين ومفتوحتين علي بعضهما البعض.. ثم كيف عادا ليتحابا وتتعمق الصداقة بينهما في ظل الطلاق الذي كان ذروة من ذرى البرودة والعزلة في علاقتهما.. وفي صرخة مدوية سبق أن صرخت مثلها فوضعها الزوج لا - الكاتب المسرحي بالنص على لسان إحدى بطلاته..

تصرخ فيه في لقاء لهما في بيروت المحاصرة سنة ١٩٨٢ والتي جاء إليها كل منهما عن طريق غير طريق الآخر ليساندا المقاومين فيها:

«يا راجل حرام عليك .. حتى بعد الطلاق، وفي لحظة نفسي أحس فيها إنى حرة.. و أنى با اعمل عمل كبير لوحدي بعيد عنك.. مش هأين عليك لازم تفضل كاتم على نفسي وإنك إنت الموجه والمسيطر.. وإنى طفلة وانت الكبير وخايف على .. ولازم توجهنى .. خلاص (وعلت صرخاتها) كفاية استاذية.. كفاية تسلط ودكتاتورية ارحمنى.. حرام عليك.. ستيبنى أعيش حياتى.. مرة..»

إن أمانة كاتب السيرة وهو يسوق هذه الصرخة بحذافيرها لا تجعلنا نكف عن التساؤل عما أخفاه وهو يحكى وما كان مقدمة لوصول رفيقة حياته لهذه الذروة من الغضب.

ألم نقل إن كتابة السيرة هي عمل أكثر تعقيدا مما نتصور في بلد تحكمه



الأعراف القديمة وغيون الرقباء العلنيين والسريين بل وخرج أقرب الناس إلينا. حين نشر «عبد الله الطوخي» حلقات الجزء الأول من السيرة مسلسلا في مجلة «صباح الخير». «وعقب نشر فصلين عنوائهما: «كيف عرفتها؟» وأغنيات الحب المطارد» ذكرت فيهما لقائي الأول بفتحية، كذلك أول قبلة لنا وكانت بين شواهد القبور فوجئت بها تخبرني بأن «صلاح» ابننا الأوسط المقيم في الغردقة (بعد ترحال واسع في بلاد العالم) قد اتصل بها تليفونيا وقال لها، مغلفا قلقة بشئ من روح الفكاهة - ماما.. قولي لبابا يحاسب شوية في الكتابة عنك حضرتك مراته صحيح لكنك في نفس الوقت أمنا والصراحة في الحاجات دي برضه لها في بلادنا دي حدود»

ويذكرنا هذا الغضب بما قاله الأديب الكبير «نجيب محفوظ» بعد قراءته لمذكرات «لويس عوض» «أوراق العمر» التي تحدث فيها الأخير بصراحة عن تحول إحدى بنات الأسرة للإسلام حتى تتمكن من الطلاق من زواج تعيس بعد أن عجزت عن الحصول عليه من الكنيسة بالإضافة إلى تفاصيل أخرى من هذا النوع، وقال «نجيب محفوظ»

- لويس عوض قضى عائلته..

إنه الإرث القديم يظل يغاود الظهور كلما أظلمت الدنيا..



الديوان الصغير



أحلام المصري وسكاكينه

(مختارات من قصص محمد عيسى القيرى)

إعداد وتقديم:

حلمى سالم





قطب الصمت

«ولأنك فقري، وما لكش نصيب في بحور الشهد الأبيض والخمرة السائلة من نهر
المسيحي المبروك، فانزاح م السكة وموت، أحسن لك».
هكذا كتب محمد عيسى القيرى في نصه (القصة-القصيدة): «مش عارف»، وكأنه
كان يصدر إلى نفسه أمراً وجودياً واجتماعياً ووجدانياً، وقد نفذ ذلك الأمر تنفيذاً
حرفياً: فمات.

عن بضعة وأربعين عاماً رحل محمد عيسى القيرى تاركاً حسرة في قلوب أهله
وأحبابه، وتاركاً وعداً طيباً باكتمال التحقيق الأدبي، الذي لم يكتمل.
قارئ نصوص محمد عيسى سيلمس ثلاث خصائص رئيسية فيها:
الأولى: هي المزج العميق بين الواقعي والفراشي، فيما يمكن أن يسميه النقاد
«الواقعية السحرية».

والثانية: هي توليفته المحكمة بين اللغة الرصينة المكننة واللغة السيارة المبدولة،
مما أنقذ نصه من الجمود اللغوي من جهة، ومن التخلف الركيك من جهة ثانية.
والثالثة: هي حضور بعض الاجترارات الفنية والجمالية، من قبيل كتابة نصوص
قصصية، بالعامية، الصرّف، أو كتابة نصوص تقف في التخوم بين القصة والقصيدة
فيما أسماه بعض النقاد بالكتابة «عبر النوعية».

أما شخصه الصامت (الذي أسماه د. عازي على عازي «قطب الصمت») فلم يكن
سوى «رسالة» إلى المتكلمين كثيراً والمثرثرين طويلاً، رسالة مليئة بالأحلام
والسكاكين.

لاتنحى «أدب ونقد» في محمد عيسى القصاص الجاد، أو أمين مساعد حزب التجمع
في الاسماعيلية، أو أحد كتابها المتطوعين المحبين، بل تنحى فيه قبل ذلك كله
-المثال النابض لشرف الروح وحياة الرجال وعفة النفس-

ح. س



عمارة البية

يأخذ منها قطعاً معدنية لامعة عليها نقوش

انت الآن على مشارف «كفر حرب»، ورسومات ويرصها على الطاولة أمامه، صدق، لعلك تظن أنك على أهبة الدخول يرنو بعينه إلى المبنى الهائل الفخامة إلى أكثر أحياء المدينة رقياً إذا ما الذى يجثم قدام المقهى، يللم الأوسمة اصطدمت عينك بالمبنى الضخم بواجهته اللامعة ويضعها بعناية شديدة فى علبته، الفخمة ومدخله الرخامى، لا تنخدع، فإنك إذا ما مضيت فى طريقك فليسوف ترى الببوت الواطئة المتواضعة خلفها، قد بدهشك أن تلحظ-إذا ما دقيقت النظر قليلاً -ان المبنى الكبير غير مأهول بالسكان رغم ما يبدو وعليه من قدم الطراز، وإذا ما كنت فضولياً وأردت أن تعرف السبب فخير ما تفعله أن تتجه رأساً إلى المقهى البيضاء المقابل له حيث تحتسى مشروباً أجمر يشبه الشاي إلى حد ما- بينما يحكى لك رجب «وربما» بيومى «-إن كان موجوداً-»

قد يسأل رجب: ألم يأت بيومى؟ فيجيبه رجب دائماً: على وشك الوصول. فإذا ما جاء بيومى يهرع إليه ويقبض بيده السمرء النحيفة على اليد البضة فخير ما تفعله أن تتجه رأساً إلى المقهى البيضاء المقابل له حيث تحتسى مشروباً أجمر يشبه الشاي إلى حد ما- بينما يحكى لك رجب «وربما» بيومى «-إن كان موجوداً-»

شاي يا رجب، ما الأخبار يا بيومى؟ ليس هناك جديد يا بيه، أنت تعرف سعادتك أبقى أبحث عن مشترين غرباء من البلدة لم يسمعوا القيل والقال، العمارة شكلها مغبر لكل من يبغى الشراء، ولكن أنت تعرف سعادتك. يلقي بنظراته إلى وعلى ذات الكرسي يقعد وبعد دقائق يكون قد رشف من فنجان قهوته «السادة» رشفتين، يزيح «الصينية» بأكوابها جانباً ويخرج من جيبه علبة خشبية صغيرة، اتفقنا، عشرون فى المائة، همته يا بيومى.

فى نفس الموعد -لا يخلف يوماً- يأتى وعلى ذات الكرسي يقعد وبعد دقائق يكون قد رشف من فنجان قهوته «السادة» رشفتين، يزيح «الصينية» بأكوابها جانباً ويخرج من جيبه علبة خشبية صغيرة، اتفقنا، عشرون فى المائة، همته يا بيومى.



زعمق على رجب هل كنسوا السلالم يفكر فى السكن.

ونسحو البلاط يا رجب

بل ويقولون: اتفق العفارييت والبيه الجد

نسر فى رجب بعض أوراق النقصد، أن يترك لهم المبنى لقاء مبلغ كبير من

حيى ونسعى الى سيارته الواقفة أمام المال يجده تحت وسادته أول كل شهر، وأن

باب العمارة الكبيرة البيه الأب والبيه الحالى ظلاً يحصلان على

محدث هذا كل يوم، حتى الكلمات أبداً لا

تتغير، ويزعم بيومى أن هذا كان يحدث، فيرد عليهم: كيف يعرض البيه مبناه

كل يوم مع البيه الأب، بل ويشتط فى البيع وهو مؤجر، ولين؟ للعفارييت، هل

زعمه أن والده هو قد حكى له أن هذا ما يجسر أحد أن يقف فى وجه العفارييت؟

كان يحدث مع سعادة البيه الجد وبنفس يقول بعض العقلاء: إن ما ينسال من

الطريقة، الصنابير ليس دماً وإنما هو ماء مختلط

بعرق سكان المدينة، لا سكان الكفر بصدأ المواسير الحديدية، فيقول جمعه: لقد

وحدهم، حكاية عمارة البيه، ويعرقون أنها اشتركت بنفسى مع عمال المقاول الذين

معروضة البيع بأقل من نصف تكلفتها منذ غيروا جميع مواسير المياه فى المبنى أكثر

عشرات السنين ولا من يشتري، ومن مرة وبلا حدودى، فقد ظل الدم - دم

يشتري عمارة ينسال من صنابيرها إذا ما حقيقى - ينسال من الصنابير

فتحتها بدلاً من الماء دم، نعم، تلك حقيقة وبين أوراق البيه القديمة والحديثة أكثر

يؤكدها الكثيرون ولا يستطيع حتى بيومى من تقرير مبعلى يؤكد أن السائل المأجور

السمسار أن ينفيها لزبائنه المشترين إذا من صنابير المياه فى المبنى عبارة عن دم،

ما واجهوه بها، دم بشرى.

يقولون: العمارة مسكونة بالعفارييت

الذين لا يحبون أن يشاركهم فى مسكنهم عن رجب عن أبى رجب عن جدار رجب أنه

أحد، فليجأوا الى هذه الحيلة ليفزعوا كل من حكى



عند سنين بعيدة ورث البية الجد عن الشئ في المقهى ، ثم يعودون للعمل ،
بب قطعة أرض واسعة تقع في زمام ساعتها يكون البية قد وصل ، يتفقد سير
كفرنا. نصح بعض « البهوات » أن يبيعها العمل ، يربى على كتف هذا ، ويزعق في
وبشوى بدلا منها قطعة أرض في أحد ذاك ، ثم يمضى إلى المقهى ، يرقبهم في
الأحباء الجديدة الراقية في المدينة ، لانا جلسته وهو يشرب قهوته السادة ، وقد
أقامه في مثل هذا الكفر لا تتلاءم مع يزعق في أحدهم من مكانه شاتما إذا مالح
مركزه مضابط كبير في الجيش ، ولكن لما منه تقاعسا أو إهمالا عند الغروب تحملهم
كانت الأرض في كفرنا - في ذلك الوقت - عربية النقل عند اثنين منهم ليقيموا
نكاد تكون بلا تمن ، ولما أوهمه بعضهم أن بالحراسة.

هناك خطة لهدم بيوت الكفر الطينية استمر العمل في العمارة الضخمة
 وإقامه مساكن حديثة مكانها ، وأنه لن يمر شهورا طويلة ، إلى أن اكتملت زينة
وقت طويل ليصبح الكفر أرقى أحياء للناظرين ، وقبل أن يتخذ البية قراره هل
المدينة - لذا قرر « البية » أن يبشأ البناء يؤجر أم يبيع شققها تملكا ، حدث ما أجل
على أرضه اتخذ القرار ، أعلنت حالة الطوارئ في
عند اليوم الأول أصبح المكان وحيدة الجيش ، وبدأت الحرب.

عسكرية صغيرة ، في الصباح الباكر تقف *
أحدى سيارات النقل العسكرية الضخمة في الصحراء ، بأن المستور ، وانكشف
محملة بالجنود ومعدات البناء بجواز الجبان والغرور ، وحضت طائرات العدو -
المقهى المواجه لقطعة الأرض تفرغ حمولتها المرسوم عليها ذبابة بأجنحة ستة -
وتمضى لتعود بعد قليل محملة بمواد البناء برصاصها وقنابلها فلول الجند المتراجعين
، في الظهيرة يتوقف الجنود عن العمل يجرون أحذيتهم الثقيلة فوق رمال
لتناول الغذاء عندما يلمحون عربية النقل وصحور.

قادمة تحمل لهم « التعيين » يحتسون بين مرتفعين وقف البية بين جنوده



وصباطه الصغار يعطيهم تعليماته الأخيرة
 . بينما صوت أحدهم في العربة « الجيب »
 وأُنزلت البنية ثم مضت في طريقها .
 كان الدم يتسلق مواشير المياه إلى فوق
 . وعندما خلع البنية ملابسه ، ومضى إلى
 الحمام لينفض عن جسده وعشاء حرب لم
 يخضها ، عالج صنبور الدش ، فغطاه شلال
 من الدم .

١٩٨٧

حلم وسكين

بينهما صمت ينتظر ، كانت في ثوبها
 المنزلي المعتاد ، ثوبها الفستقي بورود
 خضراء صغيرة وياقة مطرزة ، لما رفع رأسه
 ناحيتها التفتت إليه بجزء من رأسها و
 حملت في شفثيه كأنما تنتظر أن يبدأ
 الحديث ، أطرق برأسه ثانية ، لاحظ قدميها
 الدقيقتين في خفيها الأزرقين المتقاطعي
 السيور بينما يسمع ضوئها الواثق كاسرا
 رجاء الصمت الهش سائلة عن حاله .
 -الحمد لله ، وصفوا لي أدوية كثيرة ،
 يقولون إما الغسيل أو زراعة الكلى أو
 انتظار نهايتي ، لعن الله المرض ، منذ شهر
 واحد لم تريني ، كنت شابا يغلق بقبضته
 يتوه الدم ، فهو يعرف إلى أين تمضي الحجر .

منذ ساعات ولم تفلح ضماداته البدائية في
 وقف سيل الدم على حيات الرمال تحته .
 اشار إليه أحد ضباطه الصغار : « اعتن
 به يا وجيه ، مع السلامة يا رجال ، العزم
 والتسدة يا أبطال » . سمعه وهو يركب
 الجيب يصرخ : « انتهى أهوت سيادتك ،
 خذني معك سيادتك » ، لكن الجيب كاشت
 تنهب الرمل بعيدا عن عطوة والدماء .
 وطائرات ترش الموت ، كان دم عطوة ما زال
 نازقا ، سال الدم ، جرى ، جرى ليلحق
 بالجيب الجنوتية السرعة والتي مضت
 تنهب الرمل ثم الأسفلت وما زال دم عطوة
 يلث وراءها ، لم يكن هناك خشية من أن
 يتوه الدم ، فهو يعرف إلى أين تمضي الحجر .



رفع راسه قليلا ، قليلا إلى الدرجة التي من الليل الاسفل متقطع أو أهة لمريض
لا نسطدم نظرت بوجهها . هو دائما حريص تأتي من العنايز القريبية من الصالة
على هذا . إذا ما التقيا وجها لوجه فإنه وخشخشة حذاء الممرضة التي تمر
بمركز نظرت في عينيها وكانت لا يرى جانب بجوارهما بين الحين والآخر وعلى شفتيها
وجبهها المشوه بدأ من جانب الأذن حتى ابتسامة خبيثة.

نفل الذن . حلق في الورود الخضراء - يقولون أن عمليات التجميل
الصغيرة . لاحظ لم تكن ورودا بل فراشات وخصوصا في الخارج تصنع من البومة
خضراء صغيرة . ملكة جمال بشرط أن تكون هذه البومة

- نعم لعن الله المرض والجرانق ، أنا غشبة لتدفع تكلفة هذه العمليات الباهظة ،
أيضا منذ شهر واحد كنت أحمل بنت في مكتوب على ألا أحلم بما تحلم به البنات
شارعنا ، لقد رأيت الصور بنفسك ، كنت جميعهن ، أظن عمرى عائسا ، وحدي ، أنا
جميلة . هـ .

صحيح .
كانا جالسين في الصالة التي ينهي رأى كفيها تمسح صفحة وجهها فقال « إنها
إليها تمر العنايز متواخين على الكرسي وقال « يجب أن أواسيها ، ها ، ومن
الخشبية المكسوة بقماش القطيفة التي بهت - يا بنت الجلال ، على الأقل سيكون لك
لوننا وخسفت وساندها . عمر لتعيشيه ، وحدك غير وحدك ، المهم أن

- أ ، نعم ، طبعاً جميلة جداً . هل تعرفين تعيشيه الدور الباقي على ، أيام أو شهر
كم تكلف عطية الفسيل شهريا ؟ ضعف ثم

مرنبى تقريننا . أما شراء الكلى لزراعتها ، ضوء النيون الباهت يرزخ فوق عيونها
ها ، طبعاً حلم ، بل أبعد من الحلم بكثير . كقمر حزين ، حلق في الفراشات الخضراء

لم يكن صوتها إلا ما يشبه الهمس ، ولا وفكر « يجب أن يتكلم ، ها هي تمنحه
يخشد السكون الجاثم في مثل هذا الوقت الفرصة . كانت الممرضة قد وقفت غير



عندة وقد شرعت اذنبها ، ولكنه عزم على ان ينكمم . عدل باقة سنرته الرباضية .

- لو اجد شخصا يبيعنى كلية بالتقسيط على ثلاثين سنة . هى شى ، تصورى اننى مرات نتايج نصاليلك الموجودة هنا فى المستشفى وقاربتنا بتحاليلى . تطابق تام فى نوعية ال . بصورى ؟ تطابق تام ، فكرت اننى يمكن . يعنى

حملت فى وجهه وقد اتسعت عيناها . هل قيت ؟

مبغرب اذن اكثر

بصراحة . فكرت اننا يمكن اننا وانت .

معى . بصراحة . انت لا تبقيين بلا زواج . وانا من المفكر ان اعيش . ما رأيك . هه .

حملت فى وجهه طويلا وطويلا ، وقجاة وعصى فى عينيها بريق حاد وعلى شفيتها المشوهة ما يشبه البسمة .

للنرجس أن يزهو

فى الفرجة بين الليل والليل أسعى بلا سلامه نقربا . لكن حين بصير الليل لى

أتذكر هويتى ، أضرم بين أصابعى قلما وبين جوانحى ألما ، أشخبط فى أوراقى : نرجس ، روح ، حزن ، فلوس ، آلهة . أمى تصيح من الصالة « تعالى لنشرب الشاي » ، أمى تصيح من الصالة « ليس لك فى الطيب نصيب ، بنت السمري لن تجد خيرا منها » ، أرشف شايبها لا أقول إنها أول من نصحنى بالانفصال لأنها سمراء « وانت أسمر ، إن شاء الله ستلد أطفالا ترمونهم فى الزبالة » ، ذلك لأن أمى تمقت البنات القبيحات وتكره البنات ذوات الجمال الوسط ولا تحب البنات الجميلات . أرشف الشاي بسرعة قبل أن يصل حديثها كالمعتاد إلى مصروف البيت فتتنصب لى مشنقة المستوليات المنزلية . هواء الشارع يحسرنى لدقائق ، ولما أصبح « كل هذا الليل لى » أستريح قليلا ولكنى بعدها أعرف أن سلامة النفس تحتاج لموهبة تنقضىنى ، لأشئ لى ، ولم يعد هناك ما يبهج الروح : إنهار عالم الأحلام ونبيلة ستافرت . وقد ماى لما سرت قادتاى إلى الكرسي الخشبى الصغير فى دكان صاحبى الذى يبيع المسامير (ربما كان من نوع الأيديولوجست الذين لا أحبهم لكن فيه





شيئا مختلفا) . شربنا مشايأ ودخنا . تمعن بعينييه الكابيتين فى وجهى .

وتكلمت كثيرا عن نرجس ونبيلة والحزن . هل أنت سكران يا أستاذ؟ .

والفلوس والآلهة . وتكلم هو قليلا جدا . قال . مالك أنت إن كنت سكران أو مسطولا .

« كن عمليا » . فتركته لأنى لا أستطيع أن هات السجائر . أنت حمار . تعرف أخبار

أكون عمليا ولا أيدىولوجيست . شارع البوسنة ولا تعرف حتى من تكون نبيلة .

المستشفى يضرب فى بطن المدينة طويلا . كل ما أطلبه الآن مكان مريح للحزن . هل

وحزبنا وبلا نهاية واضحة . وكان البقال أذهب لصاحبى فى الغرفة العلوية أشرب

على ناصية شارع البحرى يسند رأسه على ثنائه الثقيل المحلى بملعقة لى وملعقة له من

كفيه منصتا باهتمام لصوت الراديو . مزارع هذا العالم . ربما يسمع الآن نجاة

المرتفع جدا . باعته . « عليه سجائر لو » « شباك الأمل وفتحته » ويسخر فى داخله

سمحت . ما أخبار البوسنة ؟ » . ممرورا . سوف أعطيه . راضيا تماما .

« أولاد الكلب يذبحون » . سيجارة كل عشر دقائق كما يحب دائما من

« أقول . هل هناك أخبار عن « نبيلة » فى علبتى النيكور على أن يقول لى » هل

نشرة الليلة ؟ » . للنرجس أن يزهو وهو وحده بين الخزامى

« من نبيلة ؟ » . والبنانسيه ؟ » سرت أحملق فى وجوه

« نبيلة بنت السمرى . السن ستين سنة القلائل العائدين الآن إلى بيوتهم عجالى :

وعشرون عاما . عيون واسعة عميقة الحزن . ناس يحملون على اكتافهم أحزاننا وآلهة

البشرة سمراء . علامتها المميزة أنها أكثر وإفراحا وأشواقا لامعنى لها . وأنا . أنا

من فهمنى . محل الإقامة الدائم بيت فقير وحدى أعرف أن للنرجس حقا فى أن يزهو

فى عزبة البهثينى . محل الإقامة الحالى وهو وحده بين الورد البلدى والخزامى

بيت غير فقير فى الخليج . أ . ربما سمعت والبنانسيه . وأنه لا داعى أبدا أن أفقد أكثر

أخبارها من إذاعات الخليج . هات لنا محطة من نصف سجائرى .

خليجية لنسمع أخبارها .



تاتا

فإذا ما منبئ أهالي الأحياء الأخرى يمكن

على مناصد قسوى الشرطة فى كل من لأحدهم أن يقول بحكمة: «البفى لا تمارس
حتى الأفراح وحى الزورود تتراكم الأوراق البغاء فى حياها واللبس لا يسرق جيرانه»،
الكثيرة التى تحوى بلاغات عديدة عن أما ظرفاء الكفر فيقولون أن السبب
حوادث السطو على البيوت والمحال فى ببساطة أن أهل الكفر ينامون نصف نوم،
الحبين الراقيين . فى الوقت الذى لم تسجل إما بسبب السراويل التى ترعى فى
فى دفاتر شرطة «كفر حارب» منذ زمن فراشهم أو بسبب «المغسل» الذى قطع
بعيد حادثة واحدة من هذا النوع رغم أن أبقاسهم ووهبهم بعمق «السعال» طوال
المسافة بين الكفر وذلكما الحين لا تريد عن الليل موهمين اللصوص عن غير قصد-
نصف الكيلومتر. أنهم يتقنون.

قد ينجز البعض اكتشافهم ويتسمون عم «عطا» يزعم أنه منذ حادثة «تاتا» لم
بسخرية العارفين «هل يوجد فى كفر حرب يحرر لص على دخول الكفر، كيف يدخله
بيت واحد يستأهل السرقة تلك البيوت وكلاب الحراسة تملأ الشوارع طوال الليل؟
الوطنى بها حبويه من رث الآثار وقديم ويقولون «يا عم عطا، صائد الكلاب لم
الأولى لماذا يفكر لص أى لص فى أن يملأ يترك كلبا فى الشارع، فأين هى كلابك
قديم بطين يتوارع الكفر من أجل أن يدخل هذه»، يقول «موجوده» ولكنكم لا
واحدا متبهاً. ولكن هؤلاء ينسبون أو ترونها»
يجبلون أن كثيرين من أهالي الكفر من فى يوم ما قرأ شباب الكفر المتعلمون
عمال البناء وأهل الحرف- فى ذلك الزمن فى جريدة المدينة الأسبوعية فى باب
القديم- قد جلبوا من بلاد النفط التى عملوا «جرحتنا منذ سنين» ما جعلهم يهرعون
فيها سنين ما يسيل له لعاب لصوص هذه إلى عم عطا معذرين له راجين أن يحكى
الآباء من تلفزيونات ملونة ومسجلات لهم حكاية «تاتا» هذه، وقرأوا له ما كتبت
وخلطات ما زال بعضها صالحاً للعمل. الجريدة:



« حرص كاتبها الكبير الاستاذ «موسى كبيتنا هذا، إلى أن جاء الحاج» عبد الغنى « على « دائما على متابعة ما يحدث فى فاشترى البيت وهدمه وأقام على أرضه مدينتنا الصغيرة بقلعة الجرى. وهاك ما مشروعه، قالوا أن شركة كبيرة- يظهر كتيبه منذ سنين فى العمود الذى ظل يكتبه أصحابها فى شاشات التلفزيون مع لقرون عديدة (إنهم الحاقدون الذين المسئولين الكبار وهم يبتسمون ويمشطون يدمرون كل جميل تقع عيونهم عليه، إنهم لحاهم بأصابعهم- قد اختاروه ليكون وكيلا المحاربون الذين يهدفون إلى تقويض دعائم لهم يبيع منتجات شركتهم فى مدينتنا السلام فى مجتمعنا الأمن، وإنى لاتساءل: هذه، ولا يعرف أحد لماذا أختار حينما كان هل لاسم ذلك المكان الذى ارتكبت فيه تلك لمشروعه، المهم أن الرجل- بعد أن ظل الجريمة البشعة- كفر حرب- تأثير على شهرين كاملين يتابع العمال وهو يمشط سكانه؟ ولكنى أزعم أن لا، فالذين فعلوا ما لحيته بأصابعه اكتمل البناء وجهاز، قرر فعلوه قلة، شذمة من العايشين- أهل كفر الحاج أن يدعو وجوه المدينة وكبارها من حرب الطيبون المسالمون منهم براء- إنهم مسئولين وتجار لافتتاح مشروعه ليمنحوه مرضى بالحقد الأعمى الذى صور لهم أن ما « البركة» ويضعونها إسماله، وقد بلغت به فعلوه بالبريئة «تاتا» هو الانتقام الواجب أريحته يومها أن تسمح لنساء سافرات لضياعهم وفشلهم فى الحياة، سيتبقى بحضور الاحتفال.

«تاتا» دائما رمزا لضحايا العنف العائلى كان المسئول الأول آخر من وصل من والحقد المدمر. فلنبك «تاتا» ولكن علينا المدعوين، وقفت سيارته الفارهة على أولا أن نقضى على كارهى الحياة لتبقى الطريق الرئيسى الذى ما زال اسفلته طريا، وتقدم الحاج عبد الغنى بنفسه ليفتح باب الحياة».)

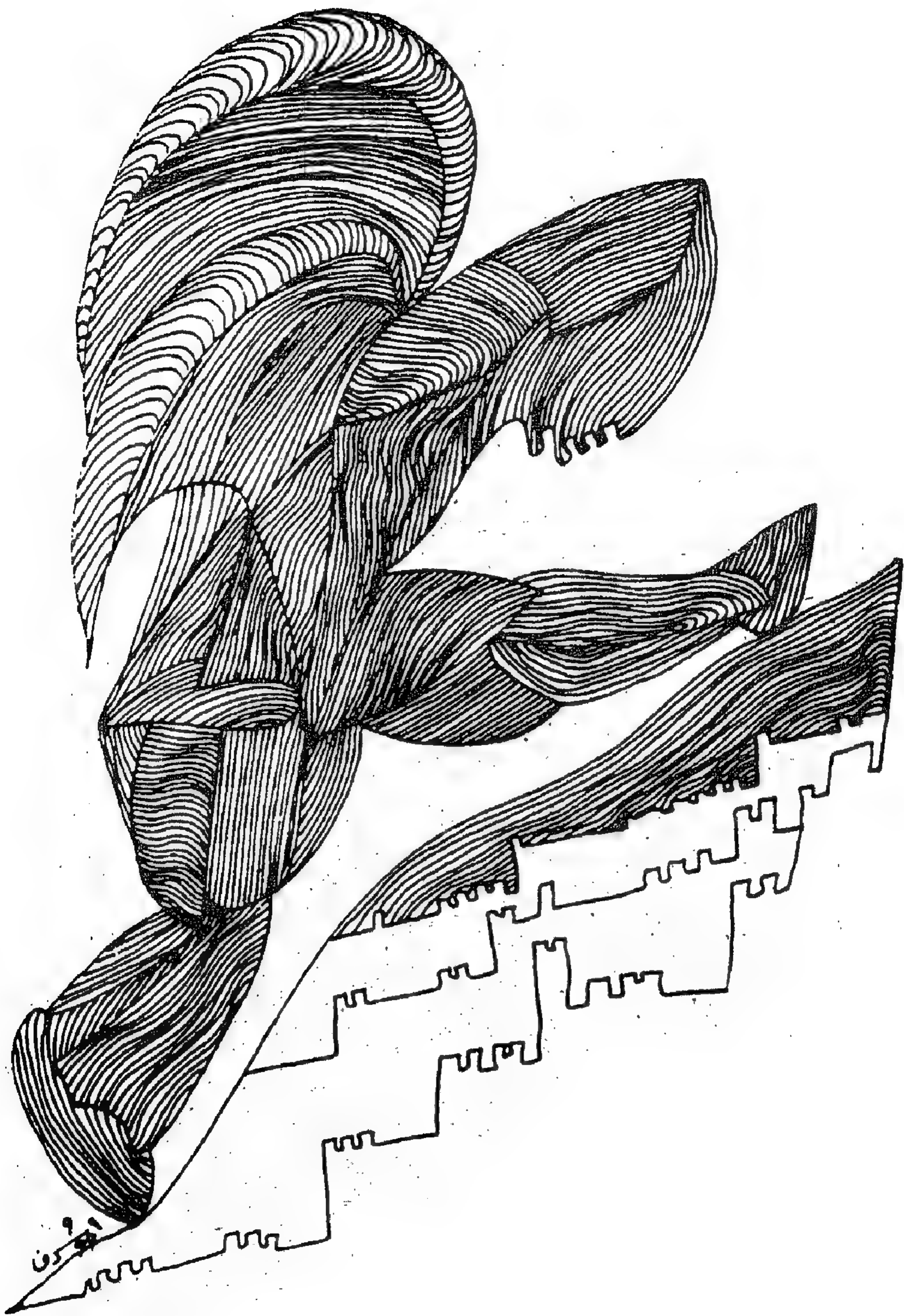
« تعرفون معرض الموبيليات الصغير السيارة، غير أن عشرات من الحلل الفاخرة على ناصية شارع الديرى- معرض البركة - كانت قد سبقته إلى هناك، نزل المسئول فى ذلك الزمان لم يكن سوى بيت صغير ماذا يده إلى الأيادى الكثيرة التى كانت فى



استقباله. ثم تحرك جمع الرجال في اتجاه الحاج عبد الغنى اليهن مرحبا غاضا لبصره المبنى الفارق في الاضواء والاصوات. وإن استشرق نظرة كانت كافية ليرتسم وباقات الورود. ليفسحوا المجال لتقدم على وجهه الوقور هلع كبير، توقفت بعض الفساتين اللامعة إلى باب السيارة السيدة وقد اتسعت عيناها تساؤلا، لكن المفجوع مستقبليين زوجة المسئول التي السيدة الطويلة التي فهمت الموقف بسرعة سبقتها ابتسامتها إلى الباب، وقدمت هزعت إليها وهمست «إها تاتا»، لم أقل يدبها وخدينا إلى جمع النسوة سهنتها لك؟، فقال الحاج وهو يحاول أن يخفى ترحابا وحبًا. أشارت السيدة تاتا، الكلبة غصينة «عفوا يا أختنا المكرمة، لا تدخل الجميلة إلى السائق فخرج إليها. وبعد أن البركة مكانا تدخله الكلاب، لو سمحت لنا اومأت براسها إلى ناحية السيارة، أدخل بأن يريحك من غمك قليلا وأشار إلى السائق نصف جسده الأعلى في السيارة ضبي أشمر اللون يبدو أنه من عماله- وأخرجه بعد برهة حاملا بين يديه جنسها. ويعر أن أوما إليه الحاج ناحية «تاتا» تلقف شعر ناعم ينحدر إلى جمع في حركات من يدي السيدة كليتها الرقيقة وأودعها ما طويلة ليغطي كل جسمها إلى ما فوق بين ذراعيه الخليلتين ومضى إلى ركن عينيها الصغيرين الوادعين ورأس تجوار الباب خذت كل هذا بسرعة، وفي رشيق، وحركة دانية طرية. اقتربت من عمرة الضوضاء والنهرج الذي كان يعم المكان زوجة المسئول سيدة طويلة القامة يبدو لم يلحظ إلا القليل من ما حدث. أنها من المقربات إليها لأنها أسرت في أذنها ما جرى بعد ذلك، لا يعرف أحد على وجه شينا. ويبدو أنها نصحتها بأن تترك اليقين كيف جرى، الذي يعرفه الكثيرون «تاتا» في السيارة، لأن البعض قد سمع أن الحاج عبد الغنى بعد شهر واحد من السيدة تقول بصوت خافت حاد «أتركها؟ افتتاحه لمشروعه قد ألغاه وأقفل مكانه أبدا، تحركت وتحرك معها الموكب ناحية ووهبه لابن من أبنائه الذي باعه بثمن البوابة الحديدية، وقبل أن يصلن إليها تقدم كبير لتاجر الأثاث الذي فضل أن يحتفظ



باسم المكان . وفعل أحفاده إلى يومنا هذا . بصوتها الرقيق دلالة على ضجرها وهي
ويبدو أن الحاج قد تشاءم من المكان وسكانه حبيسة أخضانه ، لكنه أقسم أنه حاول
فحول نشاطه إلى " حى الورود " ، لكن الذى أقصى ما يستطيع أن يكون قريبا منها
عرفه سكان الكفر أنه فى ليلة الافتتاح لكيلا تغيب عن ناظرينه ، لكنه بعد اللحظة
الزاهرة اختفت " تاتا " ، فبعد أن طاف التى تقدم فيها ليحظى بكوب من أكواب
المدعوون والمدعوات بالمكان وشربوا كاسات العصير الموضوعة على " صينية " قريبة
العصير من إنتاج الشركة الكبرى وباركوا ، التفت ناخيتها ، لكنها لم تكن هناك ، بحث
المكان باسم هدايا الحاج وأياديه قبل فى كل شبر فى المكان بل وفى الشارع
الافتتاح وأثناءه ، وما بين الابتسامات ، ولكن " تاتا " العزيرة كانت قد اختفت تماما .
وكلمات الوداع اتجهوا إلى سياراتهم انتشر المخبرون ورجال الحاج عبد الغنى
المنتظرة على الشارع فى طابور طويل - فى أنحاء الكفر ، فقد حملت السيدة الحاج
وقفت السيدة على الباب قليلا تنادى على المسئولية الكاملة لضياح محبوبتها تاتا
الصبي لى يهرع إليها بكلبتها المحبوبة ، بتصرفه العجيب فى ليلة افتتاحه
ولما أحسست أنه تأخر قليلا رمت بنظراتها المشنومة ، وأقسم الحاج بالإيمان المغلظة أنه
إلى حيث كان يقف ، لم تجده هناك ، جالت لن يبقى فى الكفر يوماً واحداً إذا لم ترجع
ببصرها فى أنحاء المكان ، وغاص قلبها تاتا لصاحبيتها ، وانطلق زجاله يبينون لأهل
عندما لمحتة بيدين خاليتين ، زائغ النظرات الكفر أن ذلك معناه أن يفلق الحاج مشروعه
يتلفت هنا وهناك بين الأرجل المتراخمة وتضيع على بعض أهل الكفر فرص العمل
وأمام الضابط اعترف الصبي - الذى اتهم التى يوفرها وجوده - وهو الذى يذبح
الصراخ بالختطاف " تاتا " - أنه قد سمح رواتب عماله بالعملات الصعبة - وعليه
للكلبة الصغيرة أن تترك يديه لتتمتع فإن على خاطف تاتا - إذا كان يراعى
بالقفز على المناضد والكراسى القريبة من مصلحة أهله - أن يعيدها ، لكن دعابتهم لم
المدخل ، لأنها كانت تتحمل بل وعسوت تسفر عن ظهور المختفية ، ويقال أن البعض





قد تعرض للنديد بأساليب مختلفة، ولما لم
بفليح كل هذا أعلنت السيدة عن مكافأة لمن
يدل على مكان تاتا أو يدلى بمعلومات تفيد
في العثور عليها.

في منتصف الليلة السابعة، اتصل
المخبر "سعد عبد البصير" بالضابط. كان الذعر يبرز من عينيها الصغيرتين
النوبنجي مملفا إياه أنه في أثناء تجواله
الليلي المعتاد في أنحاء الكفر وجد أمام
البوابة الحديدية لمعرض البركة - الكلية تاتا
جثة هامدة.

يقولون يا أولادي، وصدقوا أولاً تصدقوا
أنه في هذه الليلة وقتل منتصف الليل
بقليل، بعد أن استغرق أهل الكفر في
نومهم بساعات كان مجموعة من شباب
الكفر عابدين إلى بيوتهم من أحد احتفالات
الزفاف، محاولين أن يتزوتوا في مشيبتهم
بغير ضوضاء، بعد أن أدارت البيرة - التي
لا تنوفر لهم الفرصة إلا نادراً ليعبوا منها -
رؤوسهم القليظة. بالقرب من معرض
البركة لمحوها هناك، وفي وقت واحد هتفوا
«الكلية»، لم يفكر أحدهم لحظة واحدة في
المكافأة المرصودة ولا في التهديدات اليومية
التي ملتها أسماعهم، كانت تتهادى هناك

١٩٨٧

ندى

يمكن للقادم من ناحية مخزن عزبات
الجاز - مخترقاً شارع الحساني أن يرى
«الحفية» قبل أن يصل إلى تقاطع الشارع
مع الشارع الرئيسي، بل يمكنه - إذا ما
أغفل النظر إلى الحفر الكثيرة الموحلة تحت
أقدامه، أو الحفلة في وجوه العجائز



والنسوة الجالسات على أبواب البيوت كان يأمرا كان يا سعد يا إكرام، بنت
الواطنة- يمكنه ان يرى خط الميناء الرفيع جميلة ولا كل الجنات «كفر حرب» بل كانت
المنساب من فتحتها الواسعة على القاعدة تسكن نفس شارعنا «الجساشى».. وكانت
الاسمنتية التى تحيط بها فوق أرض البنت «ندى» تحب.. شابا ولا كل الشباب،
وصيف ضاعت معاله. تقول له «أحلم بدا تحت سقف واحد، ويقول
كانت حنفيه» ندى «هى الحنفية» «أبنيه بيدي هاتين طوبة طوبة،
العمومية الوحيدة فى «كفر حرب» التى ولكن للأرض ثمنا وللطوب ثمنا، والأيدى
تحمل اسما خاصا بها. والعارفون ببواطن قصيرة. وأنت تعرفين البئر وغطاه، تقول
الامور العقارية يقدمون تفسيرهم للاسم «إلى متى» ويصمت..
بان الأرض التى تتربح على حيز منها جاءها يوما وفى وجهه فرحة «ندى يا
الحنفية. كانت فى زمن بعيد ملكا لامرأة حبيبتى فرجت، اليد القصيرة ستطول
تدعى «ندى» وستمبلى بالبقود والذهب، وقعت اليوم
لكن الكثيرون يسخرون من هذا عقد العجل.. وبعد أسبوع سأسافر إلى بلاد
التفسير» مستعدين لتقديم حججهم فى «الفلوش أكرام على أكرام، وأجرة
أن «ندى» ذلك الاسم الأرضى لم يعرف «الفاش» هناك عالية، قاطعته ملتاعة
طريقه إلى اسماع الناس فى هذه المدينة. يسافر.. ويتركى «صالح» أتركك» ولماذا
الصفيرة إلا عن طريق التلفزيون الذى لم أسافر إذن، سيأتى أكرام الفلوش لبنى
يكمل إرساله العقد الثالث، يرجعون.. ما رأيك فى هذه الأرض التى تقف
التسمية لما بين «الندى» والماء من علاقة عليها الآن؟ ما رأيك.. هه؟ سأبنى لك
لغوية. البيت هنا.. فى نفس هذا المكان» -وسافر
وأم «خليل» تمصم بصفتيها ازراء الفنى
لكل ما يقال من خزعات الشباب وتحكى
لأحفادها الحقيقة: .. ثلاثة، وفى عصر كل يوم كانت تمر بقطعة



الأرض الفضاء .. أرضهما، تتنهد وتتخيل هناك - لأنه ينوى الزواج .
بيتا صغيراً ككل بيوت «كفر حرب» بعد أسبوع .. رآته في الشارع .. بدا أكثر
الوطنية ، يكفي أن يجمعهما ، وأن ينطلق طولاً وامتلاً جسمه الحشور في بنطاله
من بابه أطفالهما يعبثون بطين الكفر الجنز وقميصه الحريري هتف وهو يمد لها
وترابه ويعودون في المساء ليتلقوا العقاب يداً امتلات أصابعها بالخواتم الذهبية
والحنان من يديه القويتين .. الضخمة « أهلا يا ندى .. كيف حالك » .. كانت
في يوم من أيام الصيف الثالث .. عاد رغبته في أن تضمه عنيفة لكن شيئاً ما
الغائب ، سمعت أباه يحكي لامها عن في وجهه العائث قد منعها حتى من مجرد
الحقائب الضخمة المملئة التي اعتلت الرد ، واكتفت بالبحث بعينيه عن عينيهِ
ظهر « البيجو » الذي سد الحارة .. وأن الولد لتجد الإجابة عن سؤال لم يخرجها فمها
قد أصبح « نظيفاً » نظافة لم يتعودها « لماذا لم تأت » لكنها لم تستطع أن تجد
أهل « كفر حرب » .. « أكثر الله خيرته » لم عينيهِ .. وبابتسامة وادعة سأل « ندى .. ألم
ينسنا .. أهداني طاقية مزر كشة » تخيلت تتزوجي بعد ؟
البحث فسألتها الحمراء والصفراء التي قالها بنزق .. وفهمت .. جرجرت قدميها
وعدها بها الفتى والنسأ لا شك أنها تملأ وهناك .. في أرضهما الفضاء .. حيث
نصف الحقائب الضخمة سيكون بيت لم تسكن فيه ، وإن يضمها مع
وانتظرت البنت يوماً .. يومين .. ثلاثة خبيبها العائد .. جلست على حجر .. وظلت
.. كلما طرق الباب تخيلته والجا يحمل تبكي .. من مغيب الشمس وهي تبكي
كومة من أكنوم الفلوس ويلقيها بين يدي وبمؤمها تنسأل خيوطاً رفيعة على وجهها
والدها « هاك .. مهر الغالية » .. ولم يأت ساقطة على أرضهما - الحلم .
.. في اليوم الرابع حكى أبوها أن الفتى قد وفي الصباح .. لم يجدوها هناك .. وجدوا
طلب منه أن يبحث له عن شقة خالية في في نفس مكان الحجر الذي كانت تجلس
حي « الأفراح » - حيث يعمل أبوها في مقهى عليه - الحنفية .. حنفية ندى والماء ينسأل



منها خيوطا رفيعة ساقطا على الأرض.

دماغتتا القواشيط السحرية من كل

همومنا الآلية فى ساعتين .هتروح على فين

؟ على «صالح» علشان يحكيك آخر أخباره

مش عارف

كثروا الأعداء ، ومشييت فى الشارع

سارح أفكر فيهم ، وبافكر فى الأصحاب ،

واستغربت لأنى بقيت بأتلخبط بينهم

يظهر إنى اتجننت ، متفقولة ماتقدرش

تفرق بين صاحب وعدو لحد توحيد الزى

فى داخل كل الناس بأوامر عليا من الأقمار

الصناعية و«الكورن فليكس» ؟ ماشى على

المهل ، وهاستعجل ليه ؟ مع البيت ؟ هتلاقى

ولادك منتظرين «الشيببسى» فى إيدك

ورجال الكرمون الفضائيين فى الشاشة

بيحطوا الانتقام السرية على ورق النورد

النايت فى قلوبهم ، ومراتك بتعد النقدية

وبتتخسب فاضل كام ع القسط الشهري

لجهاز التوليف مع صوت الموجة الرمادية

السايدة فى كل بيوت العالم ، واللى

اشتريناه من شهرين مع سجادة . هتروح

القهوة ؟ محمود هيقول لك كالعادة إن

الحكام أولاد زانية ، وإن الكورة هدف

مضبوط مش «أوقسايد» وياخدنى أصلى

معاد ورا زهر الطاولة صلاة الحظ ، تغسل

الجنسية ويحاول اقتناك إن حلول الأزمات

الكبرى تلاقيها بين الفخدين لكن على

شروط التغيير الدائم ، وإن العلاقات

الدولية -ليست إلا-علاقات جنسية بين

الدول الرجالة والدول النسيان والدول

المخصية غصبا أو بخواطير حكامها اللى

بيخبوا أغصان الزيتون فى إيديهم أو فى

مناطق أخرى أكثر من أولادهم ، وحریمهم !

هتقول لى نروح التدوة ، نسمع عن أزمة

إنسان .العصر المرسومة فى قصايد بالشطة

وحكاوى «بالمايونيز» على كرسي فى آخر

الصالة . أستنى حبالهم توصل لى ، وأدور

على حيرتى فى كوم التراكيب اللغوية ،

ألاقيهم بيدقوا الأجراس الخرسانة بهم ع

الناصرية الثانية من شرايين القلب والفشل

الكلوى لأحلامنا . وإلا تروح عند «خليفة»

فى دكانه يشبت إنك فاشل حيث إنك مش

عملى ولا تعرف إن الفرعون المرسوم ع

الورقة الحمراء بقى يحكم فى رقاب الخلق -

حقيقى -بعد ما خطوه ع العملة . هتروح

على فين ؟ ولين . والأعداء واقفين لك على



لايسين «الجينز» الأهلئى على روسهم
طبق «الستلايت» مستوك بعقال ،ولأنك
فقرى ،وملكش نصيب فى بحور الشهد
الأبيض والخمرة السبيلة من نهر
الميسيسيبى المبروك ،فانزاح م السكة
وموت ..أحسن لك» فكوت :«ماأظنشر إنى
لوحذى فى هذا العالم «فقرى» ومريض
بالحلم الأهلئى ما بيقولوا ، لكن كتروا
الأعداء حسب اللسنة الموجودة فى جيبى
من مدة ،كتروا الأعداء ،وهاشوف ، طلعت
الورقة الذهبية من الجيب ،كانت أسماء
الأعداء فى الورقة ،رمان على ناحية
والناحية الثانية أسامى الشهدا والأصحاب
طلبت فى الورقة لقيت الأسماء سايجين
على بعض ،مين ..ومنين؟ ماعرفتش
،فقطدت على التلتوار وسألت الجئت
اليهتانة فى جارى: يا ترى ياخواننا لو
مينا فى اللحظاى هنزعل؟!

ناصب كل حوارى العالم .كل عقول الناس
وحلو قهم ؟تفضل رجلىك واخذاك فى
الطرق المزحومة بوشوش مظلية بخرابيش
الأفراج الفالصور ،وشفايف بتفتنى حسب
الكتالوج المرفق- للطاعة الأبدية بالخد
الإيسر والأيمن والخلفى كمان ،تاخذك
رجلىك ع البوابة تلاقهم قاعدين بيلاعبوا
الشمس الحامية على دماغهم كلمات
متقاطعة ماستخبرش الغيش والهدمة
والكيف وعيال فى الحارة بترعى مشيتية
الستر وحتة لحمه راس ،مرصوصة جنتهم ع
التلتوار ،وعينهم على علم الرزق .فقلئ
واحد من زمن البورصة وهز الوسط
مسكتك متلبس ،إنت أأالم بالفكر الغابر
،إصحى ، كل النظريات انهارت ولا باقى
غير وجه السوق الحرة والراية البيضاء
المفروسة فى قلوب الخلق ،مملكة الفقراء
الموعودة ماهيش موجودة ،دمرها الفرسان
الطالعين على غفك من رمل الزمن الساكت

طالبان مصر

ح.س

تخطيط جماعة «طالبان» الحاكمة في أفغانستان لتماثيل بوذا الأثرية هو ذروة من نرى ذلك الفهم الضيق للدين الإسلامي، وهو النتيجة المنتظرة لتفشي «ذهنية التحريم» عند قطاعات كبيرة من متطرفي «الحالة الإسلامية» في العالم كله بعامة، وفي العالم العربي بخاصة.

والواقع أن التعجب قد اعترانى، إبان اندلاع هذه المشكلة في الفترة الأخيرة، أكثر من مرة:

فمرة حين فوجئ الجميع بفعله طالبان المذهلة مع أن الفهم المتسق كان ينبغي أن يدلنا على أن فعلة شنعاء كهذه لابد واقعة، بالنظر إلى تتبع منطق طالبان المظلم: بدءاً من إجبار الرجال على جعل لحاهم طويلة، مروراً بمنع النساء من الخروج للعمل أو التعليم، وانتهاءً بتحريم السينما والمسرح التلفزيون.

ومرة ثانية حين انتفضت «الليبرالية المتوحشة» في الدول الغربية للدفاع عن «التراث الإنساني» ضد «بربرية المسلمين» في أفغانستان، انطلاقاً من أن هذه «الليبرالية المتوحشة» هي حامية حمى المدنية والحرية والحضارة، مع أن هؤلاء الحماة الحضاريين لم يحركوا ساكناً إزاء محاولات الحفر تحت المسجد الأقصى بالقدس، ولا إزاء هدم الآثار البابلية والآشورية في العراق بطائرات «الاستنارة» الغربية، ولا إزاء المقتلة الجماعية التي خاضها الأفغانيون أنفسهم بين بعضهم البعض بعد خروج

السوفييت ، ولا إزاء الأطفال الذين تسحقهم دبابات «شعب الله المختار» كل صباح فى فلسطين.

وصف البعض التناقض فى سلوك هذه الليبرالية المتوحشة بأنه «الكيل بمكيالين» وهو تفسير غير صحيح. والصحيح أن أقطاب العولمة يكيلون بمكيال واحد وحيد هو مكيال " المصلحة" ، مصلحتهم فى التدخل والسيطرة والفرض .

ومرة ثالثة حين سارعت بعض المؤسسات الإسلامية العربية ، إلى إرسال وفود رفيعة للمشاركة فى مساعى إثناء طالبان عن الإقدام على الفعلة الشنعاء . ووجه العجب هنا يتجلى فى أمرين:

الأول: هو أن هذه الوفود الإسلامية الرسمية لم تفلح فى إقناع طالبان بالعدول عن فعلتها الشنعاء ، وسبب ذلك عندى أن هذه الوفود الإسلامية الرسمية العربية تنطلق هى الأخرى من نفس الأرضية السلفية المتزمتة التى تنطلق منها طالبان . وفى حين استنكر مفكرون إسلاميون غير رسميين (مثل جمال البنا وفهمى هويدى وسليم العوا) فعلة طالبان استنكاراً سافراً أخرج الفعلة عن السلوك الإسلامى الرشيد ، فإن الوفود الرسمية لم تجد سوى الدفع بأن الوقت غير ملائم لمثل هذه الفعلة ، مما يعنى بجلاء الاتفاق على مبدأ التحطيم ، والاختلاف على توقيتته!.

الثانى: هو أن هذه الوفود الإسلامية الرسمية التى سعت للتدخل لدى جماعة طالبان الأفغانية ، تتغاضى عن - بل وتسهم فى - تحريمات سلفية عديدة فى مجتمعاتنا العربية ، تتبنى منهج طالبان نفسه:

فهناك تحريم «الموديل» فى كليات الفنون الجميلة بمصر، وفتاوى تأثيم الغناء والموسيقى والتمثيل ومنع عرض فيلم «الرسالة» لمصطفى العقاد بمصر، ورفض الأزهر عرض مسرحية «الحسين ثائراً وشهيداً» لعبد الرحمن الشرقاوى ، مرتين : مرة فى السبعينيات مع كرم مطاوع ، ومرة منذ أيام مع جلال الشرقاوى . وتعديل كلمة «أحمق الخطى» بكلمة «واثق الخطى» فى أغنية عبد الحليم حافظ التى يقول فيها «قدر أحمق الخطى، سحقت هامتى خطاه» . ومحاكمة الشاعر الأردنى إبراهيم نصر الله بسبب عنوان ديوان «بسم الأب والأم» .

أما أبرز واقعة طالبانية فى قلب المجتمعات العربية فهى «حادثة الأقصر الشهيرة»

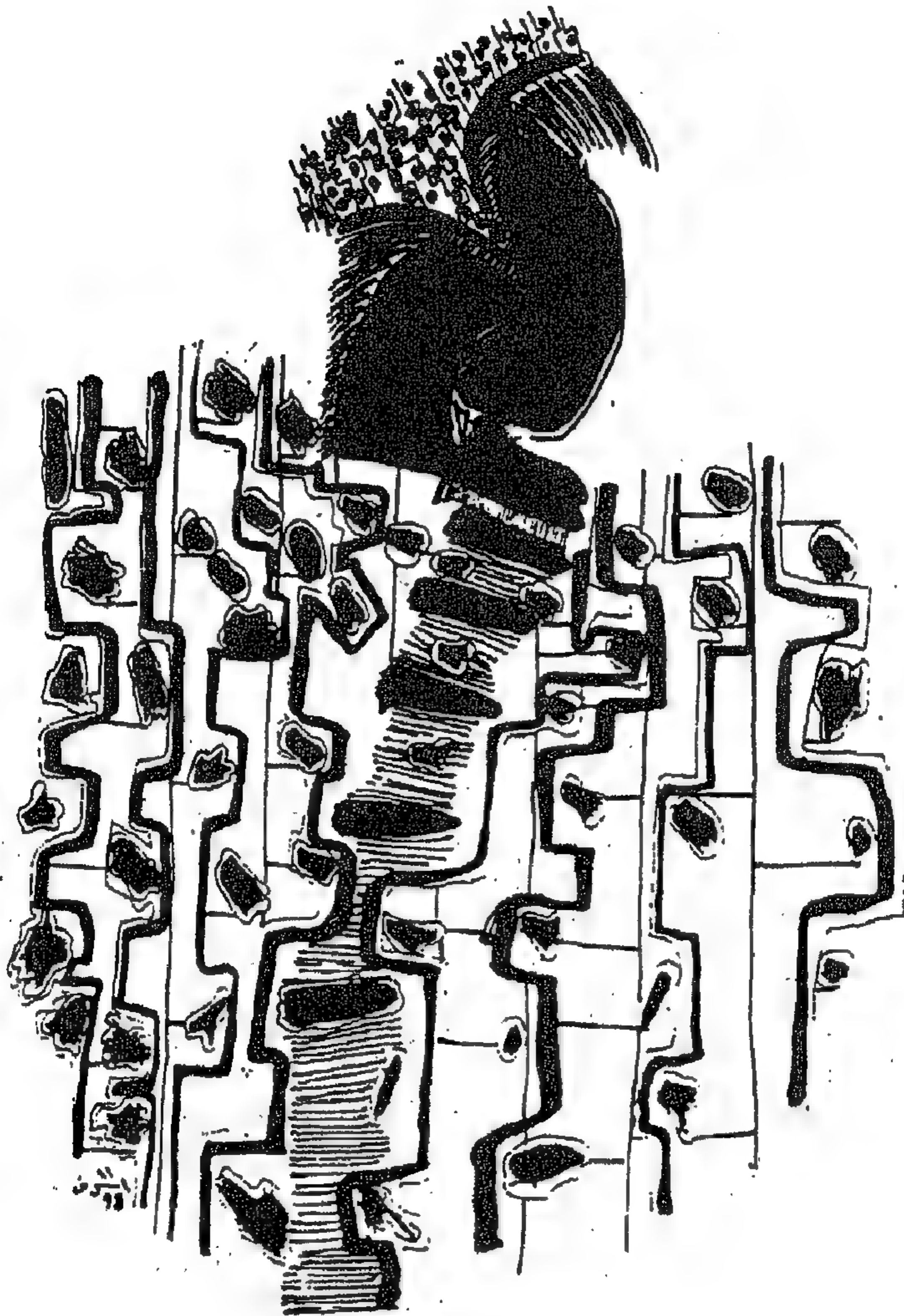
فى مصر؁ منذ أعوام . فلم يفتح المتطرفون نيران رشاشاتهم على السياح الأجانب فقط ، بل فتحوها - قبل ذلك وبعده - على جدران معبد حتشبسوت المليئة بالصور والرسوم التى اعتبرها « الطالبان المصريون » أصناماً مساخيط ، ينبغى إبادتها من الوجود .

يقول أدونيس : « تبعاً لمنطق طالبان ، ينتظر أن تهدم التماثيل الأخرى ، تماثيل المخليلة والفكر ، تلك التى تصنع بروح اللغة العربية ، وبخاصة تماثيل الشعر ، فالإنسان ، بحسب هذا المنطق ، يحاكى فى تماثيله اللغوية « خلق الله » اللغوى كما يحاكى فى تماثيله المادية « خلقه » « المادى » .

إن سحب هذا المنطق على استقامته هو ما يحدث بالفعل فى واقعنا العربى ، وهو ما يقف وراء تلك السلسلة المتصلة من المصادرات التى شهدتها حياتنا الأدبية والفكرية فى معظم عقود القرن العشرين كله : بدءاً من مصادرة طه حسين وعلى عبد الرازق فى أوائل القرن ، مروراً بمصادرة نجيب محفوظ فى أوائله ، وليس انتهاءً بمصادرة نصر حامد أبو زيد وحيدر حيدر فى أواخره . والمنطق فى كل تلك الحلقات المتتابعة هو - بتعبير أدونيس - هدم تماثيل المخليلة والفكر ، حيث « لابد ، إذن ، من تهديم « أصنام » الشعر والفكر والعلم . إذ كيف يحق لمخلوق أن يحرك شفتيه بكلمات نطق بها خالقه ، وكيف يحق له أن يصنع منها تماثلاً - بياناً يحاكى به بيان الخالق ؟ » .

وليس من ريب فى أن طالبان الأفغانية قد واجهت الوفود الإسلامية العربية الرسمية بقائمة من الفتاوى التحريمية التى أصدرتها هذه الوفود الرسمية فى بلادها العربية ، مما ينبع من نفس المنهج الطالبانى ويتوحد به ، ولذا كان موقف الوفود ضعيفاً ، وموقف طالبان قوياً ، فكان لسان حال طالبان يقول لفقهاء العرب : « كيف تطلبون منا أن نعدل عما تفتون بمثله فى بلادكم العربية ؟ » .

والواقع أن وجود ذلك « الحبل السرى » بين طالبان الأفغانية وطالبان المصرية ليس بالأمر المستغرب ، إذا نظرنا إلى العلاقة بين الجماعات الإسلامية المتطرفة فى مصر والفرق الإسلامية الأفغانية ، أثناء مقاومة هذه الأخيرة للوجود السوفيتى فى أفغانستان ، حيث تشكلت أفواج الجهاد المتطوعة للحرب فى أفغانستان ، وحيث التدريب على السلاح ، ثم عودة هذه الأفواج إلى مصر لينشأ فى وصفها تعبير « الإسلام الأفغانى فى مصر » .



وعلى ذلك، فإن جملة أدونيس المركزة «بشر، إما أنهم سيوف، وإما أنهم جثث». ليست فحسب وصفا لوضع أفغانستان حيث الناس جلادون أو ضحايا، ولا ثالث، بل هي كذلك وصف لوضع مصر ومعظم البلاد العربية، حيث الناس صنفان: مندوب إله أو إمكانية قتل، ولا ثالث.

أما المواطنون العرب فقد كانوا ينظرون إلى الوفود الإسلامية الرسمية العربية ومهمتها «التنويرية» في أفغانستان، وهم تارة يقولون «فاقد الشيء لا يعطيه»، وتارة يقولون: «من كان منكم بلا ذهنية تحريم فليرم طالبان بحجر».

صورة الفنان

ماجد يوسف

تنتشر عند معظم الناس ، صورة للفنان أو الشاعر أو المبدع بشكل عام تتصوره على أنه شخص بوهيمى ، متحلل من جميع الروابط الاجتماعية ، يحيا بطريقة شاذة وغريبة (تكاد تكون مريبة) ، لا شأن له بما تعارف عليه الناس من تقاليد وقيم وأعراف ، ولا علاقة له بما تواضعوا عليه من أخلاق وسلوك .. قليل العناية بهندامه ، ربما ، شارد الذهن عادة ، زائغ النظرات فى الغالب ، جائع للشهوات بأنواعها دائما ، يسخر باستمرار من كل ما تعود الناس على احترامه وتوقيره ، مستهتر - فى العادة - بمنظومة (الأخلاق) الشائعة والمحترمة ، لا يقيم اعتباراً لأية قيمة من أى نوع ، خصوصا إذا تعارضت هذه القيم مع لذائذه وشهواته ورغائبه ومصالحه المباشرة .. إلى آخر معالم هذه الصورة التى قد تختلف فى تفاصيلها كثيرا أو قليلا لصالح الفنان أحيانا ، ولغير صالحه فى معظم الأحيان ، ولكنها وإن تباينت فى تفاصيلها حسب الظروف ، وحسب موقع مكون الصورة ووعيه وبيئته ورؤيته وثقافته .. إلخ ، لكى مما لاشك فيه أن ثمة إجماعا على النظر إلى الفنان أو المبدع باعتباره شخصا خارجا عن المألوف .. ومختلفا .. وفى هذه الحدود ، فلا مشاحة ولا خلاف على أن الفنان أو المبدع أو الشاعر يختلف عن الإنسان العادى بدون شك ، ولكنه ليس خلاف الانحطاط والتدنى والتحلل ، مع تسليمى بأن قطاعا كبيرا من المبدعين يتصورون المسألة على هذا (النحو) .. وإننا الخلاف الأصيل للفنان أو المبدع عن الإنسان العادى - فى تصورى طبعاً - هو فى حدة بصيرته ، ونفاذ وعيه ، وحساسية نظرتة ، وموهبته فى القراءة الفنية الخاصة والمتميزة لواقعه ، القراءة

المبدعة لهذا الواقع ،وقدرته على أن يقبض على جوهر لحظته التاريخية /الاجتماعية /السياسية .. إلخ قبضا فنيا باهرا ،بمؤثرا ،ومحركا ،ومغيرا ، ودافعا ، اختلاف الفنان ، إذن ،يتبدى -عندى-فى قدرته الفذة على ملامسة عالم الروح ، التى أشار الله إلى أنها سر خفى ملغز لا يدرك كنهه ، بل إنه -الله- احتفظ بحقيقة هذا السر لنفسه « ويسألونك عن الروح .. قل الروح من أمر ربي » ..الفنان أو المبدع أو الشاعر ،هو الوحيد القادر على الاقتراب من هذا السر ..لحد ما ،وهو بعمله الفنى الرفيع يستجلى بعض غوامضه ،ويلقى بضوء ما على بعض خوافيه وأسراره ..ومن هنا تأثرنا - كمتلقين -بالفن والشعر والإبداع ..فهذه الكيانات الجمالية- فى أعلى ذرا تحققها اللافت- لا تقدم لنا أية فائدة عملية من أى نوع .. فلا تزيد أموالنا مثلاً ، ولا تملأ بطوننا بلذيذ الطعام وشهى الشراب ، ولا ترضى غرائزنا المعروفة ، كلها أو بعضها ..غريزة الامتلاك .. أو الشهوة الجنسية ..ولا تشفىنا من مرض السكر أو أوجاع الكبد أو الكلى أو أى مرض عضوى آخر .. ولكنها برغم ذلك قادرة على تحقيق سعادة غامرة وعميقة .. لأنها تتعامل فوراً مع جوهرنا الإنسانى العميق ، ويعقد الصلة المباشرة والكهربية مع حقيقتنا البشرية الأرفع ،لأنها تقترب -مباشرة- من هذه المنطقة الربانية التى خص بها الله نفسه ..وهى منطقة الروح ،فى هذه اللحظة ..لحظة الفن ..لحظة الإبداع ..يشارك الفنان الحق .. الله ، فى جزء من السر ،تقترب اقتراباً ما من هذه المنطقة المحظورة ، أو المخفورة بالأسرار ، والمترعة بالأنوار ، ولذلك ،فى كل عمل فنى حقيقى .. صوفية ما .. صلة ما تنعقد بهذه المنطقة التى كأنها تنتمى إلى تلك اللحظات الأزلية المبهمة السابقة على خلق الإنسان ، أو تلك اللحظات الأبدية المملغة الأخرى الباقية من بعده .. تلك اللحظات الميتافيزيقية التى لم يشهدها الإنسان ، ولكنها مركوزة فى دماه ، وفى ذاكرته اللاشعورية ، أو فى وعيه الباطن ، أو لاوعيه الكامن ..وما الفن الحق ، إلا اقتراب بمعنى من المعانى من هذا السر ، من بهاء هذه اللحظة ، وكنهها المستعصى المحوط بالغموض ، ولأن ذلك كذلك ، يكاد يكون الفن الحق ، والشعر الحق ، هو ذلك الذى يسربله قدر من الغموض والخفاء وعدم الاتضاح الكامل ، هو ذلك الذى يسامت الروح فى إشراقاتها الخفية ، وضبابها الشفيف ، واتضحها البهى فى ملكوت الملغز الغامض المكنون على شفا صراط -كحد سكين -مرهف ومشرع بين العقل والجنون!!.

على أى حال ، وحتى (لا ننجذب) فى حالة تبعدنا عن موضوعنا ..فلعل ما سلف حتى الآن يضعنا إزاء المهمة المستحيلة- والثقيلة -للفنان والشاعر الحق ، التى تشبه- من نواح عدة- ثقل النبوة ، ووطأة الرسالة ، وإرهاق الوحي .. ومن ثم ، فالفنان أو المبدع -

فى هذا السياق -يمتلك عبء الأمانة ومسئولية الكهانة، كما قال شاعرنا الراحل على قنديل.. وامتيازاه هو فى هذا الاستبصار المرهق الذى يحتمله عن طيب خاطر خدمة لناسه وشعبه.. كآن المبدع هو (زرقاء يمامة) أمتة بمعنى من المعانى، هو قادر على أن يستخلص الجوهر، ويستصفى اللب، ويستقطر الكنه المكنون، ويقارب السر المخزون، ويشارف الروح على شفا الكاف والنون!

أما تلك الصورة الكاريكاتورية، المشار إلى بعض ملامحها فى أول هذا المقال للفنان أو الشاعر أو المبدع، فهى صورة مزيفة ومدعاة ومزورة للفنان الحق، أو الشاعر الصدق، صورة يحلو للبعض أن يتمثلها لى يحصل -مخادعا وكاذبا- على لقب الفنان، وعلى وصف المبدع، وما أكثر المزيفين والكذابين والأدعياء والشعارير!

المهم.. أننى لا أتصور -جوهريا- فنا لا خلاق له، أو مبدعا منحلا، أو شاعرا فاسدا القيم.. صحيح أن مثل هؤلاء تعج بهم الحياة، ويملاؤن الواقع، ولكنهم لا يتطابقون تمام التطابق-أو أى تطابق إن شئت الدقة- مع الفنان الحق، والشاعر الصدق، والمبدع الأصيل.. ففى كل تاريخ الفن والشعر والإبداع.. هناك الأنصاف والأرباع، ومن ليس لهم من الصفة إلاها، ومن اللقب سواه.. إلا الاسم والنعت أقصد.. (شاعر)، (فنان)، (مبدع) بلا جوهر حقيقى، أو حقيقة جوهريّة، لهذه المسميات!

وفى بداية حياتى الأدبية والشعرية، كنت أشعر بانبهار كبير تجاه كاتب يكبرنى، أقرأ له كل محرف يكتبه، وأبحث عن قصصه فى كل مجلة أو جريدة، وأتلقف كتبه الأولى بسعادة وحب غامر، إلى أن أسعدنى الحظ بلاقائه، والتعرف إليه، ولا تسلم من سعادتى، وقد اصطحبته إلى بيتى ليلتها، لنقضى الليلة معا فى أحاديث طلية وتقارعات نقدية، أقرأ له شعرى، ويقرأ لى قصصه، وبشكل عابر، سألنى عن بعض الأعداد بالذات من مجلات أدبية متعددة: هل هى عندك؟.. وأجبتة تلقائيا وصادقا بالإيجاب.. فطلب منى إحضارها، فقامت لمكتبتى الملم له ما أراد من اليمين والشمال، ومن أعلى الرفوف هنا، وأسفلها هناك حتى جمعت له ما أراد.. فأخبرنى.. أن هذه المجلات احتوت فى بعض أعدادها تلك على قصص له، وأنه يسبيله لإعداد مجموعته الجديدة من هذه القصص المنشورة، فى هذه المجلات.. وإلى هنا لم يكن ثمة ما يريب، أو يدعو للشك.. وأكمل أنه فى حاجة إلى مراجعتها والاطلاع عليها لأنه ليست لديه كل هذه الأعداد وأنه سيكمل الليلة فى هذه المراجعة والفحص، وقمت للنوم وأخبرته أننى مضطر للخروج فى الصباح مبكرا جدا لوداع أبى الذى كان سيسافر -فجرا- إلى السعودية، وأن كل ما عليه فى الصباح بعد أن ينهض وقتما يشاء ويقرر الانصراف، أن يعنى بالتأكد من إغلاق الباب خلفه ليس إلا..

وحتى لا أطيل عليكم فى تفاصيل غير مهمة..

المهم .. أنه عند عودتى .. اكتشفت تمزيق الأستاذ الفنان المبدع الساحر المبهر لكل قصصه من مجلاتى المختلفة وإفسادها جميعا على .. وأنه أخذ عددا من الكتب أيضا من مكتبتى دون استئذانى .. ودون أن يعلمنى حتى بما أخذ فى ورقة استعارة أو ما شابه .. ولا تسئل عن فجيعتى الباكورة فى هذا التصرف (اللا أخلاقى) .. وتحطم صورة هذا الفنان الكبير (الذى ما زلت على قناعتى بأنه فنان كبير) وقلت لنفسى مشمئزا من سلوكه ساعتها .. إذا كان لابد أن أعرفه أصلا فليكن ذلك من بعيد لبعيد .. بمعنى أن أقرأ له فقط .. دون التورط فى الدخول معه فى علاقات مباشرة .. قد تفجعنى بما تكشف عنه من تناقض فادح بين الصورة المثالية للفنان أو المبدع و الشاعر التى تفترضها القراءة المجردة .. وبين ما قد يعتور الشخصية الحقيقية من عيوب ومثالب أخلاقية رهيبة أحيانا . ولذلك ، فأنا أميل - بطبعى - إلى الإيمان الكامل (وإن كذبتة الوقائع أحيانا وصدقته فى معظم الأحيان) أن الفنان الكبير ، والمبدع العظيم ، والشاعر الفذ .. هو حالة من الاتساق بين القول والفعل ، بين القناعة والسلوك ، بين الفكر والعمل .. بين قيم الإبداع كما تلوح فى عمله ، وقيم الحياة كما تلوح فى علاقاته وحركته بين الناس .. وأن الخلل بين المستويين بدرجة أو بأخرى لا يدل على مجرد عيب فى شخصيته .. وإنما على نقیصة فى إبداعه!.

ولكن، إذا كان لابد أن أسلم فى نهاية هذا المقال ، بأننى لا أمتلك منطقا قويا فى الدفاع عن هذه الفكرة .. لأن تاريخ الأدب والفن والإبداع يمتلئ بالمنحطين والسفلة .. بل والمجرمين أحيانا .. وهم مبدعون أفذاذ فى الوقت نفسه! وهذه حقيقة لا أستطيع إنكارها والممارة فيها للأسف الشديد .. ومع تسليمتنا الكامل بنسبية المعايير الأخلاقية من مجتمع لاجتمع ، ومن عصر لعصر .. فلأقل بكل تواضع إذن .. إننى أنا شخصا ، لا أفهم - ولا أحب أن أتعامل مع فنان عظيم هو فى الوقت نفسه إنسان منحط ، وقد أفضل - إذا كان لابد من ذلك أصلا - التعامل مع فنان متواضع القيمة، ولكنه إنسان عظيم حقا!!.

كتاب

كتاب عز الدين نجيب :

شهداء يرسمون شهداء

محمد سيد سلطان

لا يعد هذا الكتاب مجرد كتاب يستعرض فيه مؤلفه أعمال نخبة من أهم فنانى مصر التشكيليين فى العصر الحديث ، بل هو فى الحقيقة شهادة موثقة يبين فيها حياة هؤلاء الفنانين الكبار الإنسانية ، فى قوتهم وضعفهم ، فى حبهم وكرههم ، فى مرضهم ونزواتهم وإحباطاتهم .. والأهم من ذلك رصده لما ناله هؤلاء الفنانون من جزاء على يد المسئولين عن الثقافة فى بلادنا ، فالغريب فى هذا الكتاب هو أنك ما إن تقرأه حتى ينتابك شعور عميق بالفخر للانتماء لهذا الوطن الذى أنجب هؤلاء الفنانين العظام ، ولكن سرعان ما يذوى هذا الشعور تحت وطأة شعور أكثر عمقا ، وهو شعور بالخجل والخذلان لما لقيه هؤلاء الفنانون من إهمال من قبل السادة المسئولين عن الثقافة فى بلادنا فى حياتهم وبعد مماتهم..

والمفارقة الهائلة فى هذا الكتاب - كما يقول الشاعر حلمى سالم فى كلمته على الغلاف الخلفى - هى أن كاتبه - عز الدين نجيب - هو نفسه واحد من أبرز الفنانين الشهداء : فمرة يعتقل بسبب نشاطه التقدمى ، ومرة يعتقل بسبب تضامنه مع الثورة الطلابية فى أوائل السبعينات ، ومرة يعتقل بسبب تضامنه مع الفلاحين

التأثرين على قانون الإيجارات ، وبين هذه الاعتقالات هناك سلسلة متواصلة من فصله وإبعاده وتحطيم لوحاته ومرسمه .. ولكل هذا لم يكن غريباً أن يحمل الكتاب كل هذا الحب والدفء تجاه فناني مصر الكبار ..

ورغم أن الكاتب قد قسم كتابه إلى خمسة فصول استعرض خلالها حياة إحدى وثلاثين شخصية إلا أننا نستطيع أن نقسم الكتاب تقسيماً مغايراً. فالكاتب قد عالج في كتابه نوعين من الشخصيات : النوع الأول نوع كان ملء السمع والبصر في حياتنا الثقافية ، مثل حسن فؤاد وصبرى كامل وسيف وأدهم وانلى وإنجى أفلاطون وعفت ناجى وتحية حلیم ولكن يبقى السؤال المهم الذى طرحه الكاتب عند عرضه لحياة هؤلاء الفنانين ، ما هو التقدير الذى نأله؟

والنوع الثانى هم من عانوا عذابات كبيرة ورغم ذلك لا يعرف عنهم الكثير ، رغم إنهم فى حقيقة الأمر لا يقلون عن فناني النوع الأول الذين ذكرناهم ومنهم نحميا سعد ، محمد شفيق ، صدقى الجباخنجى ، حسن محمد حسن ، محمود عفيفى ..

يفتح الكاتب فصول كتابه بأول المعلمين وأول الشهداء ، ألا وهو أحمد صبرى .. والذى يعده المعلم الأول لأجيال الفنانين فى مصر منذ أوائل الثلاثينيات فلقد تخرجت على يديه من المدرسة العليا للفنون الجميلة أجيال وأجيال تركت بصمات قوية على مسار الحركة الفنية ، متشعبة بتعاليمه الصارمة أو مضيفة إليها قيما جديدة أو حتى متمردة عليها، وفى ذلك كان تأكيد لوجوده وتأثيره ، فلو كان بغير تأثير ما استحق التمرد عليه من أبنائه .. ومن بين تلاميذه النابهين على نفس الدرب الأكاديمى الفنان حسين بىكار والفنان صلاح طاهر فى مرحلته الأولى .. وكان من قوة تأثير ورسوخ هذا الاتجاه الأكاديمى الذى أصبح أهم مدرسة فى الحركة الفنية حتى نهاية الثلاثينات ، أن قامت للتصدي لها ودفعها جماعة فنية جديدة من شباب الفنانين عام ١٩٣٩ باسم « جماعة الفن والحرية » بقيادة رمسيس يونان وفؤاد كامل ، وكامل التلمسانى .. أما حياة هذا الفنان الكبير من يوم مولده فى أبريل ١٨٨٩ وحتى وفاته فى مارس ١٩٥٥ فهى مسلسل تراجيدى ، بل أقرب إلى الميلودراما فمن موت والدته وهو فى الثانية من عمره وموت والده وهو فى الثامنة إلى انتقاله.

إلى بيت خاله وتذوقه مرارة العيش والحرمان ومالاقاه من إذلال .. ثم التحاقه بعد ذلك بمدرسة الفنون الجميلة بدرب الجاميز التي أعلنت عن افتتاح أبوابها سنة ١٩٠٨ ثم سفره إلى فرنسا بعد ذلك فى بعثة فنية فور انتهاء دراسته .. لأنجد غير مأساة كبرى لاحقت هذا الفنان الكبير صاحبته منذ ولادته وعبر حياته ، والتي انتهت نهاية مأساوية ، ففي عام ١٩٤٩ سلب منه القدر نور عينيه وهو فى ذروة النضج والعطاء الفنى ، واحتاج إلى جراحة فى عينيه . ولم يكن معه ما يغطى نفقاتها ونظم له بعض محبى الخير معرضاً للوحاته ، حيث بيعت فيه سبع عشرة لوحة بمبلغ أربعمئة جنيه(!!) وأجريت العملية بالفعل ولكنها لم تأت بنتيجة وهكذا عاش سنواته الأخيرة لا يستطيع أن يرسم أو يوفى نفقات أسرته الكبيرة . وكان أقسى يوم على نفسه يوم تلقى - خلال هذه الأزمة - دعوة من الدكتور طه حسين وهو وزير للمعارف لرسم صورة شخصية له وعجز عن تلبيةها ..

ولاتختلف حياة صبرى فى تفاصيلها عن حياة باقى فنانيها وكأنه بدون ألم ومعاناة لا يكون هناك إبداع ، وأقول فى تفاصيلها لأن هناك الكثير من الفنانين من سعوا منذ بداية حياتهم إلى الدراسة الأكاديمية ثم محاولة السفر إلى الخارج وخصوصاً فرنسا لى يستكملوا دراساتهم هناك .. كما أن هناك الكثير منهم من عانى منذ نشأته وحتى وفاته من المعاناة فى حياته والإهمال من قبل الدولة ومنهم حسن خليفة ..

وحسن خليفة هو الطالب الوحيد الذى التحق بكلية الفنون الجميلة بتأشيرة من الرئيس جمال عبد الناصر شخصياً ، بعد أن رفضت كلية الفنون الجميلة قبوله طالباً بها ، فلم يكن فى وسعه سوى تقديم شكوى إلى مكتب الشكاوى ، وهو مملوء يقيناً بأن شكوته هذه سينظر إليها ولكن المفاجأة كانت أكبر مما توقع فقد استدعته الكلية لتبلغه بقبوله بناء على توجيهات الرئيس ، ولم يصدق أو يهدأ له جنان حتى قرأ بنفسه تأشيرة الرئيس على طلبه ، وكان نصها : " إذا لم يقبل حسن خليفة فى كلية الفنون فلنم أعدت إذن ؟ .. ولم ينس حسن خليفة هذا المعروف فى عام ١٩٧١

قام حسن خليفة بنحت تمثال بارتفاع أربعة أمتار فى الساحة الرئيسية لجامعة بيروت العربية بـلبنان .. وهو العمل الذى سبب له فيما بعد ألاماً مبرحة - بسبب وقوفه الطويل فوق السلم - فى عموده الفقرى .. وبعدها فى عام ١٩٧٦ يذهب حسن خليفة إلى فرنسا فيقضى بها سبع سنوات يدرس فيها فن الميدالية - نال حسن خليفه جوائز عديدة عبر حياته الفنية ففي عام ١٩٧٧ حصل على جائزة البورتريه " لبول ماير" بفرنسا كما فاز بالميدالية البرونزية فى النحت الميدانى عن تمثال « اللحن الحزين » من صالون باريس الدولى عام ١٩٨٠ . كما نال أيضاً الميدالية الفضية فى النحت عن تمثاله « عذاب الإنسان » من صالون باريس الدولى عام ١٩٨١ وغيرها.. ولم تختلف معاناة النساء عن الرجال فى حياتنا الفنية فما لاقاه الرجال من معاناة وإهمال لاقتة أيضاً النساء ولكن إضافة إلى المصير الذى اجتمعت عليه أغلب فناناتنا وهو الوحدة القاسية ، بعد أن تساقطت - مع رياح الخريف - أوراقهن ورقة ورقة ، فتكالبت عليهن قبسوة الوحدة مع مرارة النسيان! .. ولكن تبقى إنجى أفلاطون هى التى تعرضت لتجربة السجن دون غيرها من الفنانات ، فلقد قبض عليها فى عام ١٩٥٩ فى أكبر حملة اعتقالات سياسية تشهدها مصر ، لتقضى فى السجن خمس سنوات . والمفارقة أنه فى اليوم التالى للقبض عليها دق جرس الباب فى منزلها ، وكان القادم مندوباً من وزارة الثقافة بخطاب تهنئة بحصولها على الجائزة الأولى فى مسابقة التصوير الزيتى التى أقيمت بين كبار الفنانين عن العمل فى الحقل . ومن حياة الترف إلى عذابات السجن قضت إنجى أفلاطون خمس سنوات ولكنها تقبلت الأمر بعزيمة خارقة ورفضت أية مساومات للتخلى عن مبادئها واستنكار مواقفها السياسية مقابل الإفراج عنها ، فاستغرقت فى رسم المسجونات بعد أن أكتشفت أنهن لسن شريرات بطبعهن ، بل كثيراً ما وجدت أعماقهن أنقى من كثيرات ممن يعشن حياة الترف فى المجتمع ، وأنهن ضحايا القهر والظلم الاجتماعى .. وهكذا استغرقت فى رسمهن أو بمعنى أشمل .. فى رسم



الحيوات المكبوتة الزاخرة بالمعاناة والقلق والخطيئة والخوف والمجهول والتمرد
القهر والشهوات المحرمة التي تلتهب ناراً لدى أدنى لمسة ، ترسم الأشواق العاطفية
والأمومة الحبيسة والأيام المتساقطة مع الآمال فى بطء كظلام النهار وساعات
الانتظار اللانهائية التي تعيشها السجينات ، أو خطوط الزمن على وجوههن التي
توشك أن تفقد أدميتها.

وفى ١٧ أبريل ١٩٨٩ وبفارق يوم واحد عن يوم ميلادها وهو ١٦ أبريل ١٩٢٤
رحلت انجى أفلاطون عن عالمنا ، بعد أن أصيبت فجأة بجلطة لم تمهلها غير أيام قليلة
، بعد رحلة فنية تجاوزت ألف عمل فنى مابين لوحة زيتية ومائية ورسوم بالفحم
والأخبار..

وأخيراً فالكتاب قصيدة وفاء شجية من فنان ذاق مرارة المعاناة والقهر يقدمها
تحية وإخلاصاً لمن سبقوه على الدرب من فنانيين وفناناتنا ليسد بها فراغاً كبيراً
فى مكتبتنا الفنية وليدشن به لبنة من اللبنة التي تربط بين الفن والفنانين
وحقوق الانسان.

متوازيان

إيهاب الحضرى

(١)

هناك على بعد مترين كانت تجلس على حافة سرير فخم ، شاردة تحمق فى أفق غير منظور ، وعلى نفس المسافة منها كنت أجلس بدورى على حافة سرير فخم شاردة - رغما عنى - أحملق فى نفس الأفق غير المنظور ، فجأة .. قررت أن تخلع ملابسها رغم برودة الجو لتقف عارية تماما، ولأن هناك قواعد للعلاقة بيننا لايمكن الخروج عليها فقد اضطررت لأن أخلع ملابسى رغم شعورى بالبرد لأقف عارية تماما على أمل أن تتخذ قرارا مضادا يقينى هذه البرودة ، غير أن الحمقاء وقفت تحمق فى اتجاهى وهى تفكر فى أمر لأستطيع أن أتبين ملامحه، وكما تحمق فى أحملق فيها ليتكرس بداخلى شعور بالخواء ، هى غبية تضايقنى ومع ذلك تقودنى باستمرار فى نفس الاتجاه.

(٢)

عندما وقف خلفها مقبلا عنقها كانت تبدو متوهجة ، تنم كل إيماءاتها عن نشوة محمومة ، وأنا - كما هى العادة - صورة مطيعة لايمكنها الخروج على النسق ، تغمض .. أغمض.. تباعد بين شفتيها لتصدر أنة ملتبهة .. أباعد بين شفتى لكن

دون أن أصدر صوتاً ، تعض .. أعض ، ترتعش .. أرتعش ، تسلم جسدها للمساته أسلم
جسدى للمسات هـ. أو للمسات شبيهه الذى لا يختلف أمره عن أمرى كثيراً ، كل
هذا كان يحدث بدقة متقنة على المستوى الشكلى ، لكن تطابق الحركات كان يزيد
توتراتى ، فالحمقاء القابعة على سريرها تحت جسد هذا الخنزير تثير اشمئزازى ،
كيف يمكن لها أن تتقبل مثل هذا البدن ، بل والأغرب أنها تستمتع به ، الاشمئزاز
كاد يجعلنى أتقيأ (وهذا لم يحدث طبعاً نتيجة المعايير الصارمة التى تحكم
تصرفاتى) ، فى هذه الليلة تحديدا بدأت أشعر بالقهر ولم أعد أخشى الظلام ، فهو
الذى يحررنى منها حتى ولو بالغاء وجودى.

(٣)

هاهى تعود لارتداء ملابسها .. أشعر بالدفع .. تبدأ فى البكاء بجراحة .. أدمع (مثلها تماماً) لكننى أحس بالسعادة حزنها يسبب لى انتعاشاً جذاً .. لا بد أنها
أصبحت تدرك حقيقة مشاعرى تجاهها ، استشف ذلك من نظراتها الكارهة التى
بدأت تحدقنى بها ، حاولت - بدافع من خوفى - أن أظهر لها بعض الود ، لكن
نظراتى لم تسامدنى ، وقتها فقط قررت أن أحاول.

(٤)

الجفاء المتنامى أصبح إطاراً عادياً لعلاقتنا حتى إنها أصبحت لا تنظر إلى ، قد
تقف أمامى لتصلح ثوبها أو زينتها لكن دون أن تلتقى عيوننا ، عرفت أن
محاولتى بدأت تثمر ، أقولها أشعرنى بالزهو .. والقوة !

(٥)

سأحاول أن أفرض وجودى حتى فى حالة اختفائها ، أحلام اليقظة بدأت تزين
لى المحاولة ، فأخذت استعد لمعجزتى ، إنها أسطورة الخلق قد تتكرر ، الحياة من
رحم العدم ، سأكون حواء الصور المسلوقة الإرادة وسأختار آدمى من بين عشرات
المحبوسين فى الأطر الزجاجية ، وسأتعرب فقط عندما أرغب فى التعرب ،

وسأختار من يطارحنى الغرام وأغمض عيني وأباعد بين شفتي لأصدر أنة ملتهبة .. لا بل أنات تعوضنى فترة السكون التى سبقت الخلق ، نهضت هى متجهة إلى الباب، ورغمما عنى نهضت أنا متجهة إلى الباب ، لكنى أخذت وضع الاستعداد للبقاء لحسن الحظ أننى لأراها ، استجمعت قواى ، قبل أن تغلق الباب نظرت وراءها .. نظرت ورائى ، لمحت على وجهها طيف ابتسامة متحدية ، فأجبتها بابتسامة متحدية .. أغلقت هى الباب..

(٦)

فشلى قادنى إلى حالة من الإحباط ، سحقنى الاكتئاب ، لحسن حظى كانت هى أيضا تمر بنفس المشاعر، لم أكن مستعدة لأن أراها سعيدة وأنا مكتئبة، حالتها السوداوية جعلتها تفرط فى التدخين الذى أدمنه ، علاقتنا انحدرت إلى أدنى مستوياتها خاصة مع بقائها فى الغرفة لفترات طويلة مما جعلنا فى مواجهة مستمرة ، أخذ نفسا من سيجارتى ، يتصاعد دخان سيجارتها ، ضعفها الشديد جعلنى أستعيد بعض الثقة بنفسى فأقرر أمرا ، إذا كنت قد فشلت فى المرة السابقة فإن ذلك حدث بسبب خروجها الذى أخل بمعايير العلاقة بيننا ، أما فى وجودها فالأمر يستحق محاولة أخرى، إن حركة مبادرة قد تعيد تنظيم موازين علاقة التبعية ، فقط سأنتظر اللحظة المناسبة.

(٧)

كانت واقفة أمامى تمسك كوبا . كنت واقفة أمامها أمسك كوبا ، رشفت رشفة .. رشفت رشفة ، نظرت إلى بكراهية .. نظرت إليها بكراهية .. انتبهت إلى أننى مازلت أقف عند حدود التكرار السلبي ، فقررت أنها اللحظة المناسبة ، فى انفعالة مفاجئة رفعت يدي بالكوب وألقيته بكل قوتى فى اتجاه وجهها..

فى الوقت الذى كانت أشلائى تتناثر فيه مع زجاج المرأة المحطمة ، كانت هى تهوى على السرير وتجهش بالبكاء !

شعر

بهجة الأنوان

محمود الزيات

أمشى كملك شرقى سابق
يتجول فى إيطاليا
منكسر القلب
ولكن المخبرات لن تدبر مؤامرة لقتلى
ولن تستأجر ممثلة مغمورة لقدس لى السم فى شرابى
الأمر الذى يشعرنى بالمزيد من المرارة

لدى أسباب كافية للسكوت
وحيث إن الحياة فى ذات الوقت
وهبت أناساً آخرين
أسباباً كافية للتكلم
وقدرات خسيصة على اقتحام فضائى
أجدنى مضطراً للتكلم
حيث يصبحون فجأة فى مجال الرؤية

يتحركون بنشاط صامت
كمن يجهزون لموتى
سوف أشغلهم عن هذا مؤقتاً
" مؤقتاً " هذه أستخدمها بينى وبين نفسى منذ سنوات
ربما " مؤقتاً " حقيقة أشد صلابة من " خطة التاريخ "
لم أقابل أحداً يمتلك خريطة معقولة للتاريخ
برحابة مصطنعة سوف أكمل استماعى
الأمر لايعنينى على الإطلاق
حيث لا جدوى من كل هذا
الشك فى الجدوى يحمل فى طياته مصادرة تقول:
إنه لا بد لكل شئ من جدوى
بما يعنى أننى أنطوى على تكوين أصولى
مقاومتى الخفية للخواء
تأكل نصف قدرتى على التركيز
أحياناً أتصور أنهم أيضاً فى معركة عنيدة
يقابلوننى بنصف وعيهم
مما يجعلنى أشك فى قدراتهم على التفكير
كما أنهم يشكون فى قدراتى
الآخرون عامة يتكلمون فيما لا يرغبون التكلم فيه
ربما لأن مافى داخلهم حزين أيضاً
ليست هناك طريقة يخرج بها المرء من نفسه
ليرى الأشياء بحياد فيزيائى
ربما كانت الألوان أكثر هدوءاً



والطبيعة ذات تفاصيل أقل
وأصحابي أكثر معقولية
ربما هم حقيقيون.

باعتزاز مأساوي
كما يصف نيتشه انكسو جوراس
أرتدى ملابس بهيجة الألوان
وأمشى في جنازتي الطويلة متماسكا قدر الاستطاعة
أمشى كملك شرقي سابق يتجول في إيطاليا

شعر

الشكوى لله

مدحت منير

هالف الهوى لفتين بالعصايا
وأدبها ف الرمل
يمكن
تصحى الورد

هأرفع رجلى اليمين قدام
وأنط بالشمال ف العالى
يمكن
يولف طير

هازق قلبى العجوز
بالراحة..
كأنه النهر..
زاحف ع الحصى بالطحى
وأسيبه
يعوى بكرامه
على طبل شبه الجوع
يمكن
يخف الوجع

نافذة المبدعين

حبي كالقمر

حبي لك كأقمار الليالى

كل يوم هو بحال

هو يوماً فى حبك كالبدر

وفى حبك يوماً كالهلال

فلا تشقى نفسك بالسؤال

أو يفزعك تغيير الأحوال

فالقمر يظل قمراً فى كل الأشكال

ولو تحول يوماً من بدرٍ إلى هلالٍ

ندى إمام عبد الواحد

جنون

يتدحرج حجر من سطح دار القرشى ،

تقرع العصي صفيحة ، ينهق حمار ،

تشغو الحملان ، ينبح كلب ، يصرخ

رضيع ، تخور جاموسة ، تصيح الديوك

فى غير ميعاد الصلاة ، تموء قطة ،

يزيط العيال :

- بيو ، بيو .

تكر الأصوات وتفر ، العجوز تسوطه

النبرات ، يفتاظ ، ينفخ ، ينفر ، يهيل

طوب (الجريدة) على خيالات العيال ،

توجهه الصيحات ، يدور حول رسمه ،

يستكشف الأبواق المتنمرة ، الأولاد فى

مخابئهم يتحفزون ، تنقله يثير الزوابع

، رمال وأتربة وسيل من الزلط ، أبرز

من شارع النحيفية ، أتلقت خوفاً من

الكلاب المسعورة ، يلخمنى التوجس ،

أصطدم بالجسد الصخرى ، يقبض على

ياقة قميصى من قفاى ، يرجف قلبى ،

ينز جسدى عرقاً ورعباً ، تتسمر عيناى

على تجاعيده مسنونة الحواف ، عيناه

تطقان شرراً ، أتوسل فى صمت ليدعنى

، تغطى ريالته ذقنه ، يتحشرج صوتى :
- ياعم الحاج أنا..

صفعة قوية تلحد حروفي ، وثانية
تهدنى ، وثالثة تطلق رفاتى من يده
، أجرى ، يتقوقع مطرحه ، موجات
الأصوات تنرفزه ، يتواعد الجميع
بالقستل ، أطوى الأرض ، الأولاد
يتضاحكون ، يتعالى صخبهم ، تعرقل
قدمى اليسرى اليمنى ، تبطحنى شقفه
من الصوان ، تنهضنى سرعة فوق كل
السرعات ، ألث ، تتبدل الأرض ثعباناً
مهولاً يبتلع كل الأشياء ، لقفنى أبى
أمام الدار ، عقد ما بين حاجبيه ، مسح
دمائى بتؤده وصرامة ، لم يركلنى
بالأسئلة ، طبطب على كتفى المروج ،
أكتم ألامى ، ينطق :

- من الذى ضربك ؟؟

أتذكر البكاء ، يمهلنى فترة ، يخفت
نحيبى ، يعاود السؤال :

- من هو الضارب ؟؟

أرد بحروف موتورة :

- الشيخ سيد .

- وكيف أمسك بك ؟؟

أصمت ، يتجاهلنى ، أتألم بأهات
مكبوتة ، يطلب الإجابة تخذلنى الكلمات
، أتشنج ، أتحسس آثار يده الفائرة ،
ويحكى وعلامات الأسى والحيرة تتخلل
صوته الرخيم :

- أين الشباب كان ، جمالاً وفتوة ،

رزقه فى الأسواق ، يمشى معرش ، شال
كشمير وجلباب جوخ ، أمل كل بنات
القرية ، عايق ودمه خفيف ، لا يعود من
الأسواق إلا فى أنصاف الليالى ، وفى
ليلة شتاء وأثناء مروره على القنطرة
لا يسمع إلا خرير مياه الزواريق ، ولم
ير إلا شقاوة القطط ، وقف ، وفجأة
تحولت القطرة البيضاء إلى عروس
جميلة كفلقة القمر ، قبلته قبلة طويلة
سلبته العقل .

يضممنى ، أغادره إلى حيثما أتيت
وفى يدي حسفنة زلط ، ينده على ،
لأعيره أذننى ، أقابل العجوز ، لأجرؤ
على رميه بالطوب ، أنصرف مبتعداً ،
يشده أبى بقوة ، يقعه جواره ، يبادر
أبى بالقول :

- أمسكت بشيطان وضربته .

يسأل أبى كاظماً غيظه :

- ماذا فعل لك ؟؟

ينكمش فى هدومه ، تتعارك الأجوبة
فى مخيلته ، يقول بصوت رائق :

- سرق فلوسى وباع أرضى لغريمى

يسخر أبى :

- لا يعرفك .

يقضم الكلمات :

- بل تربى فى بيتى ، أذاع جنونى ،
سبك الحكايات ونهبنى .

يصر أبى :

- ليس هو .

يدعك جبهته المتسخة ، يقطع
بكلماته قرص الصمت:

- بل هم - كلهم - هو

أتلصص محاذياً المصنطبة ، يلمحنى
، ينتفض وبيده نصف قالب طوب ،
يحول أبى بيننا.

عصام الدين محمد أحمد

قرى العاشقين

غدا يأتى لك العاشقون
لا يملكون غير أغنية
وعذابات الطفولة
يشقون القمر
يبنون سلما فى السماء

يؤدى

للاشئ

غير أن العينين

تحكى

مانسيه البشر

وردة العشاق

تحكم فى الدماء

(الأحداق والمهج)

لاتنس قرى العاشقين

أين هى ؟

نؤسسها من جديد

لافائدة

هل جاءك العاشقون البارحة

كانوا ينزفون دماءهم فرحين
قالوا إن عشقت فأنت بالخيار

أن تقتل أو تنتحر

هل رأيت العاشقين البارحة
كانوا يشباقون للنار كالفراشة
إذ تسعى نحو حتفها

كان البحر

يفنى أغنيته الباكية

عندها

رحل العاشق

لم يكن يرجو

غير ارتعاشة يد

ونظرة حاتية

قرى العاشقين

قرى العاشقين

مذبحة

عبد السلام صبحى

أشجان

حضرة السيد مدير التحرير

تحية طيبة إلى سيادتكم/ إننى

أبعث إليكم بهذه القطعة الزجلية كتبته

حفيدتى شيرين أبو زيد راجع المدرسة

المساعدة بقسم الارشاد السياحى فى

كلية السياحة والفنادق بجامعة المنيا ،

وهى تعبر عن تجربتها الذاتية

ولكم ياسيدى خالص الشكر والاحترام

أشجان محمد كامل

"أشجان"

واحكى يا "أشجان"

ده الكلام كثير

فى العينين وعلى اللسان

دى الحلوة "شرين"

قلب أخضر

والصدر دافئ وعمران

أهى قاعدة تدور

مش عارفة لها رأس من رجلين

ولاحلو من شين

وكل ماتنحل عقدة

الثانية تربطها اثنين

ماهو كان فيه جنية

وساكنة بيتين

جنية مؤذية

لاتعرف رحمة ولالين

وشوف يا صاحبي

راحت قعدت خلف "شرين"

علشان لما تقول شمال

اللئيمة تجرى جهة اليمين

ولما تقول أبيض

صاحبتنا تروح بسرعة قايلة:

لا.. إسودين !

داخت البنت "شرين"

راحت تقول: ده مين والافين؟؟

دى أصلها ورا ياحلوة

وهو الأصل برضه يكلمك من ورا

ظهرك؟

والا يقف قصادك والكلام عين فى

عين؟

قالت "أشجان":

ده عمل ولا المشعوذين

والسحر يا أبا فى بابل

نادى الملكين

لا.. ربنا هو خالق الإنس والجان

الرحمن

تعالى يا أميرة الجنيات

كل طلباتك جهزناها

جمر .. وبخور .. وتعويذتين

قالت: لا.. معوذتين!..

بكيت "شرين" ..

أه .. أنا فى متاهة..

إصبرى .. لما يجيكى اليقين

وتعرفى خبره بعد حين

ولكل أجل كتاب

ولكل متاهة باب..

شيرين أبو زيد راجح

ثنائية الحلم والحقيقة

ماأحلى عينيك فى الغناء!

كأحلامى المرسلة

والمدن المقسمة

ترسم بسمه عبر الفضاء

ماأحلى ثغرك الباسم صباحاً

حدثيني عن زمانك ..

وعن شهر يار

فكل الزهور تفرقت ..

على خدى (شقائق النعمان)

وانزوت فى جحور الأرض

تبنى فى جسمها .. شوكتاً للاشتهاء

ترسل عطرها لمن يفض بكاره

المساء

حدثيني ..

عن صورة الفارس المكبل

- على برواز أحلام الشعوب -

فى جدار القلب الملقى فى الشوارع

للذئاب

يفكر فى فك قيود المعبد

من مخالب الدموع والدماء

فاستهوته صحراء المساء

ماأحلى عينيك فى البكاء !

كل الحروف - كقلبي - ضائعة

- كأنبوبة المصل -

كل أنابيب السموم لاتفيد

لن يجدى الهروب من الزمن

عبر حدود الدود والشجن

وأبواب الرأس حبلى بالسقم

والوطن يحتسى - الشعب -

كؤوس مرارة الانفصام

والألم

وصوت النور المولج فى ضجيج

المدينة

يتوجحد فى قلب الفارس المعلق

على حصان أشواق الصباح

وفى نفس اللوحة

يتفرقون من حوله

كل يحمل أوراقه لحيث شاء

.....

ماأحلى عينيك فى توحيد الغناء

والبكاء!

إيهاب العثمانى - نجع حمادى

درة الزمان

محمد درة الزمان

ووجهه ساحة الوطن

محمد.... بارق الأمان

ساعة المحن

حاملاً همومنا

رافعاً هاماتنا

إن عزا دهر

أو جار زمن

قوله شرر

فعله درر

لكن فعلنا

مثل قولنا

حائر

أو عاقر

بلا ثمر

حجر على حجر

ووجه طفلنا

بسمه الدهر

إن غاب القمر

وروح طفلنا

رد فعل غاضب

قام يقذف الحجر

بوجه غاصب مستكبر

أحرق البشر

والصمت .. والكفن

عالم .. بلا ضمير

على عبد الكريم

القدس راجعة

فلسطين يا أرض الديانات

فلسطين يا حبيبة السموات

لن يرضى الإله قهرك

وقتل الأطفال وصراخ الأمهات

يادرة الاسلام والأقباط

يامهد الرسائل والدعوات

لن يفلت أعدائك من جلد الشياطين

ستهزم الحانات وتختصر المقدسات

سيجلد الحاخامات

والجنرالات أولاد الضائعات

وتعودى يا فلسطين بعد الأنين

لراحة السنين يأم الطاهرات

ويعود الحجيج إلى قدسك

بعد الحنين والدعاء في الصلوات

يا قدس يا عبير الريحان

يا غذاء الروح والأميرات

سنعود إلى دفة ربوعك

نصلى ونغنى أعذب الألحان

سنعود يا قدس الزمان

يا قرة الأعين يا عمز البلدان

سنعود يا قدس الأمان

نقبل أرضك والجدران

يا قدس أن الآوان

وارتفع صوت الأذان

الجهاد .. الجهاد .. الجهاد

يا جنود العرب والعربان

فيوم النصر قد حان

واسألوا الآيات في القرآن

ستعلو المآذن وتدق الأجراس

وتعانق الأهله الصليبان

وسيكتب المؤرخون

يوم النصر بكل لسان

محمد وديع العلاوى

قريباً .. سأعود إليك

هنالك يمكث الغالى جريحاً

هنالك نلتقى عدلاً غريباً!!

هنالك قد طفى سفه حقير

على الحب الأصيل مضى مريباً

* * *

رمال تشتكى وجعاً مريراً

يدوس صدورها دوماً ويمضى

بلا حلم على قلب لشكلى

.. هو الفزع الذى دوى بأرضى

ترى أيسير ذا قدماً يباهى

تري أيسير مبتسما .. أمامي ؟!
فيما ويح الفؤاد ويا عذابي
ستقتل كل راياتي .. وسامي !!

* * *

فأين من ارتقول ؟! .. كلا سأمضي
إلى الدرب الطويل هناك قومي
فؤادي قد رأى نوراً مطلقاً
تري أهو الصباح أتى للومي ؟!
نعم .. فأنا .. غفلت وهامصيري
إلى السحب التي غطت صقوري !!

« صلاح الدين » ذا قلق ثراه
وحطين التي شهدت نسوري

* * *

تنادى اليوم في هلع : هلموا
فراق قد مضى لكمو .. وجاءوا
بغلٍ لطحوا جسدي .. وطفلي
يصارعهم هنا فهمو وباء

زكريا عبد المحسن على

هل يفيد انتحاري ؟

لا شك في أن الكتابة تساعد كثيراً
على تخفيف التوتر ، وهي عبارة باردة
يمكن استبدالها بعبارة أكثر توافقاً :
الكتابة يمكنها أن تصد فكرة الانتحار :
ماذا لو انتحرت احتجاجاً على سلوك
القيادات العربية تجاه ما يحدث في
فلسطين ؟ المشاهد التي نقلتها وسائل
الإعلام لا يمكن التعبير عنها بالكلمات :
حجر في مواجهة ترسانة مسلحة ،

أطفال وشباب يستشهدون كل يوم ، مدن
كاملة تحت الحصار ، بيوت تنسفها
المروحيات والرشاشات تقذف الموت
على أحياء كاملة لا تفرق بعد أيام قلائل
من اندلاع أحداث فلسطين راودتني
فكرة الانتحار احتجاجاً على برود
الأنظمة العربية وردود أفعالها المحبطة
والانهزامية. ثم أقلت عن الفكرة - أملاً
أو سذاجة - عندما أعلن عن عقد قمة
عربية ، لكن سرعان ما عاودتني وأنا
أستمع محبطاً وحزيناً للبيان الختامي
، وقلت انتهزها فرصة فأكتب ورقة
أضعها على جثتي قبل أن أموت ، رسالة
تقول: انتحرت احتجاجاً على الأنظمة
العربية وقمتهم الخائبة.

شرعت في التفكير من حيث توقفت
في المرة السابقة: هل يفيد انتحاري
القضية ؟

وبما يدفع نظاماً عربياً - أو نظامين
على الأقل - لاتخاذ موقف حقيقي إزاء
ما يحدث لأهلنا الفلسطينيين . هذا من
الناحية العامة ، أما من الناحية
الشخصية فإن فوائده لا تحصى ،
فالانتحار هو السبيل المضمون للراحة
من كل أوجاع القلب هذه ، وهو يتيح لي
فرصة، ألا أرى بعد ذلك نظاماً عربياً
واحداً (اللهم إلا إن كنت من أهل جهنم) .
هذا ما كنت أفكر فيه قبل أن يردني
صوابي إلى حقائق أخرى ليس من

سبيل إلى تجاهلها:

فليس لحياتي لدى النظم العربية كل هذه الأهمية التي استبغها عليها ، وليست لحياة أى منا أى أهمية لدى النظم العربية ، فإن حياة هذه النظم هي الأهم في الواقع .

ثم إن إنتحاري - على الأرجح - سيأتى بنتائج وخيمة لن تكون في صالح أى قضية وعلى رأسها قضية فلسطين . إذ ربما ينتهز زبانية الأنظمة العربية هذه الفرصة ليدلوا على خطورة مقالات الصحف ونشرات الأخبار والأغاني الوطنية على حياة المواطن العربي .

ومن باب أولى يؤكد إنتحاري أهمية المعالجة الزائفة التي تتبناها هذه النظم للقضايا العربية .

وسوف يسهل انتحاري على هذه الطريقة لملة مجموعة من العقائد والأفكار العامة التي تميز نظرة الناس إلى الانتحار والمنتحرين ، ولصقها - بطريقة أو بأخرى - بكل من ينادى بتحرير فلسطين ، فيقال مثلاً إن الدعوة لتحرير فلسطين ظاهرة مرضية أو فوق طبيعية مضادة لسلامة الخيار الإستراتيجي ، وأن أساس هذه الدعوة

يكمن في العقل الباطن وصدومات الطفولة . وقد يطالب أحد دراويش السلطة المفرمين بكل ما تتخذه من مواقف بالزج بكل من تسول له نفسه المطالبة بتحرير فلسطين في مستشفيات الأمراض العقلية .

لم يتبق لى من فكرة الانتحار إحتجاجاً سوى جانبها الشخصي ، وهو بالفعل الجانب المرضي في المسألة ، إذ يمثل الإنتحار - مجرداً من جانبه العام - مجرد الهروب ، أو عدم قدرة النفس على مواجهة الواقع وترويضه (ترويض الواقع وليس النفس) .

لقد أقلعت حقاً عن فكرة الانتحار من أجل فلسطين - أو بالأحرى من أجل النظم العربية . لكن للفكرة - مازال - بريقها ، تراودنى من حين لآخر . ومن أجل ذلك استعنت بالكتابة ، لعلها تقدر على صد الفكرة نهائياً . أو لعلها تقيض لى من ينصحنى بالانتحار ويقنعنى بأن الفكرة صالحة وذات نتائج لابأس بها . ساعتها - صدقونى - سأنتحر فوراً وبكل ارتياح .

عصام الزهيري
الفيوم

